نوادر المخطوطات

بتحقيق
عبد السلام هارون
الأستاذ المساعد بجامعة فؤاد
كلية دار العلوم

المجموعة الأولى

١ — الرسالة المصرية ، لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى المتوفى سنة ٥٢٨

٢ — كتاب المردفات من قريش ، لأبى الحسن على بن محمد المدائنى المتوفى سنة ٢٢٥

٣ — كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء ، صنعة محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥

٤ — تحفة الأبيه ، فيمن نسب إلى غير أبيه ، لمجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادى المتوفى سنة ٨١٧

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذه المكتبة العربية التى كانت منار الثقافة الإنسانية دهراً طويلا ، ولا تزال تشع من نورها وضيائها على جنبات الدنيا ، وتتغلغل تغلغلا عميقاً فى زوايا الحضارات على شتى أصولها . هذه المكتبة لم تلق بعد ما تستوجب من عناية ولا ما تستحق من خدمة واجبة . وكنت ولا أزال أتحدث بجهد إخواننا فى العلم المستشرقين ، الذين بادروا إلى إنقاذ الكنز فكان لهم بذلك فضل التنبيه .

وكان مما صنع الله لهذه الكنوز أن قيّض لإثارتها ، ونفض غبارها، طائفةً ممن نصبوا أنفسهم لهذا العمل المجهد الشاق ، يبغون بذلك الإسهامَ فى نشر العلم ، وفى بيان أمجاد الغابرين من الأجداد ، وتوطيد الصلة بين علمهم الأصيل ومعارفنا المستحدثة . وأذكر فى طليعة هؤلاء الناشرين الرجل العبقرى المرحوم « السيد محمد أمين الخانجى» ، الذى أمد المكتبة العربية بعدد هائل من المطبوعات العربية التى لو لم تمتد يده إليها لبقيت إلى الآن مطمورة فى النسيان . وأذكر معه العلامة المحقق الجليل المغفور له «أحمد زكى باشا» ، وهو أول عربى أشاعَ أساليب النشر الحديثة ونظم الطبع الجديدة فى كتبنا هذه العربية ؛ فلهما من الله الرحمة والجزاء لقاء ماقدما من فضل عظيم .

وإنه لما يثلج الصدر أن تتجه جامعاتنا المصرية اتجاهاً جديداً إزاء طلابها المتقدمين للإجازات العلمية الفائقة ، إذ توجههم إلى أن يقدموا مع رسالاتهم العلمية تحقيقاً لمخطوط يمت بصلة إلى موضوع الرسالة ، وعسى أن يأتى اليوم الذى يكون فيه هذا الأمر ضريبة علمية لابد من أدائها .

وكان مما صنع لىَ الله أن ألفيت نفسى فى أطراف ميدان النشر العلمى أكافح فيه والسلاح ضعيف ، فما أزال أجمع سلاحًا إلى سلاح ، وأقتحم الصعاب إثر

الصعاب ، وإنا فيما بين ذلك أستلهم الله العون والتوفيق ، فيمدنى بسَيْب منه وفيض كريم ، وكلما ظننت أنى قد رويت غلة النفس زاد مابى من ظمأ إلى مزاولة هذا الجهاد الصادق .

وقد رأيت أن همة الناشرين المحققين تتجه فى أغلب ماتتجه إلى المخطوطات ذات الشهرة الظاهرة ، وإلى ما جلَّ مقداره من كتب السلف ، مُغْفلين فى أكثر الأمر هذه الرسائل الصغيرة . وقديماً كان الناس كذلك ، إنما يروقهم مايملأ أبصارهم، ومايروعهم بجسامته وعِظَمه ، ورب أسد مَزير فى أثواب رجل نحيف!

فصحَّ منى العزم على أن أكشف عن طائفة من هذه الكتب الصغيرة غطاءها ، وأقدم منها إلى جمهرة الباحثين مادة نادرة . وأن أجعل هذا فى مجموعات متتالية متسلسلة الأرقام والصفحات . وسيتكون من كل أربع مجموعات مجلد يقع فى نحو خمسمائة صفحة ، تنتهى بفهرس عام لما فيها من الرسائل .

هذا . وليس يفوتنى أن أذكر أن هذا العمل قد لقى منذ اللحظة الأولى فى التفكير فيه ، ترحيباً بالغاً من رجال العلم ، ووجدت فاتحةَ معاونةٍ جميلة من الأصدقاء الغُيُر ، إذ تكرم الأخ العلامة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع المكّى فبادر بإرسال مخطوط نادر نفيس نسخه بقلمه مقابلا على أصله ، هو « كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار ، وما فيها من المياه » لعرام بن الأصبغ السُّلَمىّ . وسيظهر إن شاء الله فى المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات .

وإنى إذ أسجل لهذا الصديق شكراً عظيما على ما أسدى — لمرتقب إن أجد لهذا العمل التعاونى صدًى عند من تضم مكتباتهم أمثال هذه الكتب الصغيرة النادرة .

والله أسأل العونَ ، ولزام الصواب ، وصالحَ التوفيق ؟

القاهرة فى ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ عبد السلام محمد هارون

الرسالة المصرية

لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى

٤٧٠ — ٥٢٨

مقـــدمة

نزح كثيرون من رجال الأندلس إلى الشرق طلباً للعلم أو المال أو الجاه ، أو رغبةً فى أداء فريضة الحج ، وكان من أولئك النازحين إلى مصر رجلٌ جَمَع إلى الأدب الحكمة ، وإلى الطب التنجيمَ والموسيقى والرياضةَ والبراعة فى علم الحيَل .

هذا الرجل هو أبو الصَّلت أُمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت ، المولود فى مدينة دانية ، من بلاد الأندلس سنة ٤٧٠ هـ .

قدِمَ أبو الصلت إلى الإسكندرية ومعه أُمُّه — فيما يروى ابن خَلِّكان — سنة ٤٨٩ ، أى فى أيام الخليفة الفاطمى المستنصر بالله أبى تميم معدّ بن الظاهر بالله علىّ بن الحاكم بأمر الله ؛ ووزيرُه إذ ذاك والقائمُ بأمر دولته الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى الأرمَنى .

وكان يأمُل أبو الصلت من وراء رحلته هذه بسطةً فى العيش ، وثَرَاءً من المال ، كما أشار إلى ذلك فى صدر رسالته . ويبدو أنه ظل دهراً خاملا يتحيَّن الفرص ، إلى أن أتيح له أن يتَّصل بأحد المقرَّبين إلى الوزير الأفضل[1] ، فى أيام الخليفة الآمر[2] ، وذلك الرجل هو تاج المعالى مختار[3] ، فخدمه بصناعَتَىِ الطبّ

---

(١) بدأت وزارة الأفضل للمستنصر الفاطمى سنة ٤٨٧ بعد وفاة أبيه بدر الجمالى ، ثم وزر للمستعلى بالله أحمد سنة ٤٨٨ ، ثم للآمر بأحكام الله سنة ٤٩٦ . وقد استبد بهؤلاء الخلفاء جميعاً إلى أن تمكن منه الآمر ودبر مقتله ، فقتل سنة ٥١٥ . النجوم الزاهرة (٥ : ٢٢٢) .

(٢) هو الآمر بأحكام الله منصور بن المستعلى بالله أحمد بن المستنصر بالله . ولد فى سنة ٤٩٠ واستخلف وله خمس سنين ، وقتل سنة ٥٢٤ . انظر النجوم الزاهرة (٥ : ١٧) والخطط المقريزية عند ذكر « الجامع الأقمر » .

(٣) معجم الأدباء (٧ : ٥٤) .

والتنجيم ، فأعجب به ، ووصفه بحضرة الأفضل وأثنى عليه ، وكان كاتبُ الأفضل ينفَس عليه ذلك ، ويخشى بأس تاج المعالى ، وحدث أن تتابعت من تاج المعالى السقطات فأدى ذلك إلى أن يقبض عليه الأفضل ويعتقله ، فيجد كاتب الأفضل الفرصة سانحة للقضاء على أبى الصلت ، فيختلق له ما يدفع الأفضل إلى أن يلقى به فى سجن المعونة[١] بمصر ، مدة ثلاث سنين وشهر[٢] ، بعد الذى دبج فيه من المدائح والشعر[٣] .

ويروى ابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطباء ، أن دخول أبى الصلت إلى مصر كان فى حدود سنة ٥١٠ هـ ، وأنه حبس فى الإسكندرية فى خلافة الآمر بأحكام الله ووزارة الأفضل[٤] . فإن صحت هذه الرواية كانت سنداً فى أن أبا الصلت ورد مرة أخرى بعد وفاة ولى نعمته أبى الطاهر يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس[٥] المتوفى سنة ٥٠٩ ، وهى سنة خروجه من مصر .

---

(١) ذكر المقريزى هذا السجن عند ذكر الدار المأمونية المنسوبة إلى المأمون البطائحى . قال : « وكان بجوار الدار المأمونية حبس المعونة » . ثم قال : « ولم يزل هذا الموضع سجناً مدة الدولة الفاطمية ، ومدة دولة بنى أيوب ، إلى أن عمره الملك منصور قلاوون قيسارية أسكن فيها الصبرانيين فى سنة ٦٨٠ » . وقال : « وكان حبس المعونة هذا يحبس فيه أرباب الجرائم ... وأما الأمراء والأعيان فيسجنون بخزانة البنود » . والدار المأمونية هى المعروفة بالمدرسة السيوفية .

(٢) وقد روى المقرى فى نفح الطيب (١ : ٥٣٠ ليدن) رواية عجيبة : أن عمر أبى الصلت ٦٠ سنة ، منها ٢٠ فى أشبيلية ، و ٢٠ فى أفريقية عند ملوكها الصنهاجيين ، و ٢٠ فى مصر محبوساً فى خزانة الكتب .

(٣) انظر بعضها عند ابن أبى أصيبعة (٢ : ٥٣ ، ٥٦) .

(٤) ذكر ابن أبى أصيبعة سبب حبسه فى الإسكندرية : أن الأفضل طلب إليه أن يعمل الحيلة فى رفع مركب غارق فى البحر ، فاجتهد أبو الصلت ، ولكنه حينما قارب النجاح خانه جده ، فهبط المركب إلى قعر البحر ، بعد ما كبد الدولة خسائر فادحة ، فحبسه الأفضل لذلك .

(٥) ملك أبو الطاهر يحيى بن تميم ، المغرب سنة ٥٠١ واستقر فى ملكه إلى أن توفى سنة ٥٠٩ . انظر تاريخ طرابلس الغرب لابن غلبون (ص ٣٩ — ٤٠) .

ضاق أبو الصلت ذرعا بمصر ، وما لقى فيها من الخيبة والعنت . قال القفطى[1] :

« ودخل مصر فى أيام أفضلها فلم ينل منه إفضالا ، وقصده للنّيل فلم يجد لديه نوالا » . فحينئذ شد رحاله إلى المغرب فى سنة ٥٠٦ ، واستعاد صلته بحضرة أبى الطاهر يحيى بن تميم بن باديس ، الذى وضع له هذه « الرسالة المصرية » يصف له فيها ما عاينه فى مصر وما عاناه ، وتناول فى هذه الرسالة القيمة :

١ — الوصف البلدانى للديار المصرية ونيلها .

٢ — ثم أخذ فى تصوير جمال ربوعها ومغانيها تارة بالشعر وأخرى بالنثر .

٣ — وعقّب على ذلك بالكلام فى سكانها وأجناسهم ومذاهبهم وأخلاقهم وعقائدهم ، منذ عهد الفراعنة إلى ظهور الإسلام .

٤ — وتحدث بعد ذلك فيما تحتويه من الآثار العجيبة ، كالهرمين والبرابى .

٥ — وذكر عواصم مصر فى القديم والحديث .

٦ — وقدامى العلماء من اليونان والروم ، مستطرداً بذلك إلى نذرة من لقيه بمصر من المشتغلين بالعلم والحكمة والطب .

٧ — وعجب من جهل من لقى بها من الأطباء ، ونوه بفضل بعض الأطباء البارعين .

٨ — وتحدث فى ولوع المصريين بأحكام النجوم وكثرة استعمالهم لها ، وأورد فى ذلك نوادر وطرائف .

٩ — ثم عرّج على ذكر من لقيه بها من الأدباء والظرفاء .

فهذه الرسالة تضرب بأسباب إلى علوم وفنون شتى ، وتعدّ اليوم كما عدت

---

(١) انظر إخبار العلماء للقفطى (ص ٥٧) طبع السعادة .

بالأمس ، وثيقة يرجع إليها البلدانى ، والمؤرخ ، وباحث الآثار ، والاجتماعى ، والحكيم ، والطبيب ، والمنجم ، والأديب .

* * *

هذه الرسالة الصغيرةُ الحجم العظيمة القدر كانت متعارَفة متداوَلةً بين كبار العلماء والمؤرِّخين ، ثم أضحت نادرةً مجهولة ، إلى أن تمكَّن المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا — طيب الله ثراه — من اقتنائها فى مكتبته الخاصة ، وهى برقم ٦٠١ أدب . وعلى هذه النسخة الوحيدة فى العالم — كما يتَّضح من مراجعة فهارس بروكلمان[1] — أعتمِدُ فى نشر هذه الرسالة الفريدة ، التى أورد طرفاً منها ياقوت فى « إرشاد الأريب » ، والعماد فى « الخريدة » ، والقفطى فى « إخبار العلماء » ، وابن أبى أُصيبعة فى « عيون الأنباء » والأسعد بن مماتى فى « قوانين الدولة » ، والمقَّرى فى « نَفح الطيب » ، والمقريزى فى « الخطط » ، والأدفوى فى « الطالع السعيد » ، والسُّيوطى فى « حسن المحاضرة » ، كما سيتضح لك عند تحقيق نصوصها .

ولأبى الصلت غير الرسالة المصرية « كتاب الحديقة » على أسلوب « يتيمة الدهر » للثعالبى ، وقد نقل منه العماد فى « الخريدة » . وله أيضاً « الأدوية المفردة » وهو محفوظ فى مكتبة بودليان ، و « رسالة فى العمل بالأسطرلاب » فى برلين وليدن و بودليان ، و « تقويم الذهن » فى المنطق ، بمكتبة الإسكريال ، و « أوراق من كتاب فى الفلك » بالإسكريال ، و « كتاب فى المعانى المختلفة للفظة نقطة » فى مكتبة ليدن ، « قصيدة » بمكتبة برلين .

---

(١) انظر بروكلمان (١ : ٤٨٦ — ٤٨٧) وملحقه الأول (ص ٨٨٩) . على أننى عثرت فيما بعد على قطعة من الرسالة المصرية فى دار الكتب المصرية برقم ٣٥٤ تاريخ ، سأنبه على موضع بدئها ونهايتها فى الحواشى .

وقد صنف معظم هذه الكتب وهو فى اعتقال الأفضل بمصر ، كما نص ابن خلكان .

* * *

انتهت أيام أبى الصلت فى المهدية ، وقد اختلف المؤرخون فى سنة وفاته ، فقيل سنة ٥٢٠ وقيل سنة ٥٢٨[١] .

وإليك الرسالة :

(١) انظر ترجمته عند ياقوت (٧ : ٥٢) وابن خلكان (١ : ٨٠) والقفطى (٥٧) والمقرى (١ : ٥٢٠) وابن أبى أصيبعة (٢ : ٥٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ أبو الصلت أُمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت رحمه الله تعالى : كنت إبانَ عصرُ الشباب مونقٌ ، وغصن الصِّبا مورق .

إذْ لِمَّتِي مسودةٌ ولماءِ وجهي رونق[1]

ممن سامحه الدهرُ بغَفْلة من غفلاته ، وتجافَى له عن غفْوةٍ من غفَواته ، فعاش آمِنَ السِّرْب ، سائغَ الشَّرب ، لا يتفرَّغ من أدب يرود رياضه ، ويرِدُ حِياضَه ، إلا إلى طرب يعمُر مَيدانَه ، ويسحب ذيولَه وأردانه . ثم تلوَّن فقلب لى ظهر مِجَنِّه ، وسقانى دُرْدِيَّ دنِّه ، فتدارك ما أغفلَه ، واستردَّ ما بذلَه ، واضطُرِرْتُ إلى مفارقة الوطن ، والخروج عن العطن ، فتماسكت إشفاقا من مفارقة أولِ أرضٍ مسَّ جلدى ترابُها ، وشُدَّتْ علىَّ التمائم بها[2] . وجاءت أمورٌ لا تطاقُ كِبار ، فلما لم يمكن القرار ، ولم يبقَ إلا الفِرار ، قلت : ليس لى إلا أن أرمىَ بنفسى كلَّ مرمًى ، وأطرحَها كلَّ مَطْرَح .

لأُبلِغ عُذراً أو أنالَ رغيبةً ومُبلغُ نفسٍ عذرَها مثلُ مُنجِحِ[3]

وسكنت إلى البيت المشهور :

---

(١) اقتبسه من قول أبى الطيب المتنبي وتصرف فيه :

ولقد بكيت على الشباب ولمتى مسودة ولماء وجهى رونق

(٢) اقتباس من قول رفاع بن قيس الأسدى :

بلاد بها نيطت علىّ تمائمى وأول أرض مس جلدى ترابها

اللسان (نوط) وأمالى القالى (١ : ٨٣) .

(٣) اقتبسه كذلك من قول عروة بن الورد ، ورواه أبو تمام فى الحماسة (١ : ١٨٨) :

ومن يك مثلى ذا عيال ومقتراً من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذراً أو يصيب رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

تلقَى بكلِّ بلادٍ إن حللتَ بها أهلاً بأهل وأوطاناً بأوطان[1]

وإن كان يقول العامَّة ليس بين بلد و بلد نسب ، فخير البلاد ما حملك . فجعلت أستقرِى البلادَ لأتيمَّ أوفقَها للمُقام ، وأعونَها على مقارَعة الأيام ، فكانت مصرُ مما وقع عليه اختيارى ، وصدَّقتْ حسنَ ظنى قبل اختبارى ، وسرتُ قاصداً إليها أعتسِف المجاهل والتنائف ، وأخوضُ المهالك والمتالف ، فطوراً أمتطى كلَّ حالكة الإهاب[2] ، مسودَّة الجلباب ، ثابتةٍ كصِبغة الشباب ، قد فُسِح ميدانُها ، ووُضع براحة الرِّيح عنانُها ، فجرت جرىَ الطَّرف الجموح ، وفاتت مدى الطَّرف الطموح ؛ وطوراً كلَّ نقِبِ الأياطل ، كالهياطل[3] ، سَبْط المشافر جعد الأشعار ، احتذى العقيقَ ، أو الصِّنو الشقيق ، إن علا قلتَ ظليمٌ خاضب ، وإنْ هوَى قلت شهابٌ ثاقب ، يصل الذَّميل بالوِخاد[4] ، ويلتهم التهائم والنِّجاد . فكم جِزْعِ وادٍ جزَعتُه ، وجلبابِ ليل ادَّرعته ، وكم برٍّ خرقت مَخارمه وفجاجَه ، وبحرٍ شققت غواربَه وأمواجه ، وليس لى غيرَ مصر مقصدٌ ، ولا وراءها مذهَب ، ولا دونها للغنى متطلَّب .

وكم فى الأرض من بلدٍ ولكن عليك لشقوتى وَقَع اختيارى

فلما تغمَّرتْ ركابى من النيل ، واستَذْرَت بظلِّ المقطم ، ألقيتُ عصا التَّسيار ، واستقرَّت بىَ النَّوى ، وخفَّت ظهورهن من الرِّحال ، وأرحتُهنَّ من الحِلِّ والتَّرحال ، وقلت : ضالَّتى المنشودة ، وبُغيتى المقصودة ، ها هنا ألبثُ وأقيم ، فلا

---

(١) البيت من أبيات الحماسة (١ : ٩٨) . وقبله :

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطان

(٢) يعنى السفينة .

(٣) إنما نقبت أياطله من إدمان السير . والنقب ، هنا : تنفط الجلد . والهياطل : جمع هيطل ، وهو الذئب ، يشبه به الفرس فى شدة العدو . وفى الأصل : « نقب الأياطيل كهياطيل » .

(٤) المسموع فى مصدر وخد هو الوخد والوخدان ،

أبرح ولا أَرِيم ، « بلدةٌ طيِّبة وربٌّ غفور » . وحيث التفتّ فروضةٌ وغدير ، وخورنقٌ وسدير ، وظِلّ ظليل ، ونسيم عليل .

وكم تمنّيت أن ألقى بها أحداً ... يُسلِي من الهم أو يُعدِي على النُّوَب[1]
فما وجدتُ سوى قوم إذا صدَقوا ... كانت مواعيدهم كالآل فى الكذب[2]
وكان لى سببٌ قد كنت أحسَبنى ... أحظَى به فإذا دانى من السَّبب
فما مقلِّمُ أظفارى سوى قلمى ... ولا كتائبُ أعدائى سوى كتبى[3]

ولم تطُلْ مدة اللُّبث حتى تبيّنْتُ بما شاهدتُه أنى فيها مبخوسُ البضاعة ، موكوس الصناعة ، مخصوصٌ بالإهانة والإضاعة ؛ وأنّ عيشَها الرغدَ ، مقصورٌ على الوغد ، وعقابَها المرَّ ، موقوف على الحُرّ ، فلو تقدّمت فعلمت ذلك لخفّ عنها مركبى[4] وصرفت إلى سواها وجهَ مطلبى ، ولكان لى فى الأرض مرمًى شاسع ، ومُنتابٌ واسع ، بل تثبّطت ، حتى تورّطت ، حتى عوملت بما يُعامَل به ذوو الجرائر والذنوب ، وجَرَعت من المذلة بأوفى ذَنوب . هذا مع ما حبَّرته من المِدَح التى اشتهرت شهرةَ الصَّباح ، وهبَّت هبوبَ الرياح ، ولهِج بها الحادى والملّاح[5] .

فسار بها من لا يسير مشمِّراً ... وغنّى بها من لا يغنِّى مغرداً

إلاّ أنّ الله جلت آلاؤه ، وقُدّست أسماؤه ، تدارك برحمته فأزال تلك المحنة بالمِنْحة ، ونسخ تلك النقمة بالنعمة ، وختم بالوصول إلى حضرة الملك الأجلّ أبى الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، الذى لم تزل حضرته مَصَاد

(١) فى الأصل : « من النوب » صوابه فى ياقوت (٧ : ٨٠) والقفطى (٥٧) وابن أبى أصيبعة (٢ : ٦٠) . وقد اقتبس هذه الأبيات من شعر له قديم ، كما يفهم من رواية ابن أبى أصيبعة .

(٢) فى الأصل : « كالألف » ، صوابه فى ياقوت والقفطى وابن أبى أصيبعة .

(٣) فى الأصل : « كتائب أعوانى » ، والصواب من المراجع المتقدمة .

(٤) فى الأصل : « نخف » .

(٥) انظر مديحه للأفضل فى ابن أبى أصيبعة (٢ : ٥٦) .

العُناة[١] ، ومَراد العُفاة ، ومجتمَع الفضائل ، ومنتجَع الأفاضل ، ومشرعَ الجود ، ومشعَر الوفود . فلما استترت بجناحه ، واستظهرت باستماحه ، أعذب لى بسماحة الدهر جناه ، واعتذر لى عما جناه ، فكفّ دونى كفّه ، وصرف عنى صَرفه .

كريم رفضت الناس لما بلغته كأنهم ماخفّ من زاد قادم

فكنت فيما مضيت عليه ، وآلت حالى إليه ، من إشراقها بعد الأفول ، وإيراقها بعد الذبول ، كنصل أهمَلَ أمرَه ، من جهل قدره ، ولما وقع إلى الخبير به صان صفحتَه وحدَّه ، وحلّى حمائله وغِمدَه ، ثم ادّخره فيما يدّخر وأعدّه ، فإن انتضاه ، يوماً ارتضاه ، وإن جرّده ، أحمَدَه ، وإن هزّه ، سرّه فى الضريبة حزّه .

ولكن أبى الله أن يكون الفضل إلا لمن نشأ فى مغارسه ، ونجم فى منابته ، ورَبِىَ فى حجره ، وغُذِى بدَرّه.

فلم أستسِغْ إلاّ نَداه فلم يكن ليعدِلَ عندى ذا الجنابَ جنابُ
فما كلُّ إنعام يخفُّ احتمالُه وإن هَطلت منه علىّ رباب[٢]
ولكن أجلُّ الصنع ما جلّ ربُّه ولم يأتِ بابٌ دونه وحِجاب
وما شئت إلا أن أدُلَّ عواذلى على أنّ رأيى فى هواكَ صواب[٣]
وأعلِمَ قوماً خالفونى فشرّقوا وغرّبتُ أنى قد ظفرت وخابوا

والأولى أن أضربَ عمّا سلف ، وأتركَ مافرَط ، وآخذَ فيما أجريت إليه وقصدتُه ، ونحوتُه واعتمدته ، ممّا آثرت به الحضرة الساميَة[٤] — أدام الله

(١) المصاد : موضع الصيد . والعناة : جمع عان ، وهو الأسير .
(٢) الرباب : سحاب يركب بعضه بعضاً ، الواحدة ربابة . وفى الأصل : « لدى ولامنه على » صوابه من ياقوت (٧ : ٥٩) ، وقافيته فيه « سحاب » .
(٣) البيت وتاليه للمتنبى فى ديوانه (١ : ١٢٧) برواية الكبرى .
(٤) فى الأصل : « الشامية » .

سموّها — من وصف ما عاينتُه من أرض مصر وعاينته ، والاقتصارِ على الذى رأيته دون مارويته ، فليس من يقول : علمتُ هذا من طريق العلم والسماع ، كمن يقول : تحققتُه بالمشاهدة والاطلاع ؛ فإنَّ ذا اللب الأمينَ لا ينخدع بمحال ، ولا يرضى بالتخال :

* * *

وأنا أبتدئ بذكر هذه البلاد وموقعها فى المعمورة ومجرى النيل منها ، وغَنائه فيها ، وأشفع ذلك بنبذ من ذكر أحوال أهلها فى أخلاقهم ، وسيَرهم وعاداتهم ، وما يتصل بذلك وينْجرُّ معه ، ويجىء بسببه ، ويدخل فى تضاعيفه . وهأنذا آخذ فى ذلك ، وبالله أستعين ، وعليه التوكل .

* * *

(١)أرض مصر بأسرها واقعةٌ من المعمورة فى قسمى الإقليم الثانى والإقليم الثالث ، ومعظمها فى الثالث .

وحكى المعتنون بأخبارها وتواريخها أن حدها فى الطول(٢) من مدينة برقة التى فى جنوب البحر الرومى ، إلى أيلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين . ومسافة ذلك قريبٌ من أربعين يوما .

قالوا : وحدُّها فى العرض من مدينة أسوان وما سامتها من الصعيد الأعلى المتاخم لأرض النوبة ، إلى رشيد(٣) وما حاذاها من مساقط النيل فى البحر الرومى ، ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوماً . ويكتنفها من مبدئها فى العرض إلى منتهاها جبلان [أحدهما فى الضفة الشرقية من النيل ، وهو المقطم ، والآخر فى الضفة الغربية منه . والنيل منْسرب فيما بينهما . وهما(٤)] أجردان غير شامخين ، يتقاربان

(١) الكلام من هنا إلى كلمة « الاستقامة » نقله المقريزى فى (١ : ١٥ — ١٦) .
(٢) هذا تسجيل تاريخى بلدانى لما كانت عليه حدود مصر فى عهده .
(٣) فى الأصل : « لأرض الشام ورشيد » صوابه من الخطط .
(٤) التكملة من الخطط .

جدًّا فى وضعيهما ، من لدنْ مدينة أسوان إلى أن ينتهى إلى الفسطاط ، ثمّ تتسع مسافةُ مابينهما وتنفرج قليلا ، ويأخذ المقطم منهما مشرقاً والآخر مغربا على وِراب فى أخذيهما[١] وتفريج[٢] فى مسلكيهما ، فتتسع أرض مصر من الفسطاط إلى ساحل البحر الرومى الذى عليه الفرماء[٣] وتنيس ودمياط ورشيد والإسكندرية ، وهناك تنقطع فى عرضها الذى هو مسافة [مابين] أوغلها فى الجنوب و [أوغلها[٤]] فى الغرب والشمال . وإذا ماسُمحت بالطريق البرهانية فى طريق هذه المسافة [من الأميال] لم تبلغ ثلاثين ميلا[٥] ، بل تنقص عنها نقصاً ماله قدر ، وذلك لأن فضل مابين عرض أسوان التى هى أوغلها فى الجنوب وعرض مدينة تنيس التى هى أوغلها فى الشمال ، تسعة أجزاء ونحو سدس جزء من الأجزاء التى بها تحيط الدائرة العظمى ، [وهى[٦]] ثلثمائة وستون جزءا . وليس بين طوليهما فضلٌ يقع بسببه فى هذا الحساب ماله قدرٌ يعتدّ به . فإذا ضاعفنا هذا العدد بمايخصُّ الدرجةَ الواحدة من محاذاة ذلك من الأميال ، وذلك ستة وخمسون ميلا وثلثا ميل على مادل عليه البرهان ، كان ذلك[٧] نحو خمسمائة وعشرين ميلا بالتقريب ، وذلك مسافة سير عشرين يومًا أو قريب من ذلك[٨] . وفى هذه المدة من الزمان يقطع السُّفَّار أبداً ما بين هذين البلدين بالسير المعتدل فى أكثرَ من ذلك قليلا ، لما فى الطريق من التعريج وعدم الاستقامة[٩] .

---

(١) فى الخطط : « مأخذيهما » .
(٢) فى الأصل : « وتعريج » صوابه فى الخطط .
(٣) فى الأصل : « الهرمان » وتصحيحه من الخطط .
(٤) هذه التكملة والتى قبلها من الخطط .
(٥) فى الأصل : « يوماً » ووجهه ما أثبت من الخطط .
(٦) ليست فى الأصل .
(٧) فى الأصل : « من ذلك » .
(٨) نقل عنه فى النجوم الزاهرة (١ : ٣٦) أنها ثلاثون يوماً .
(٩) إلى هنا ينتهى نقل المقريزى .

وليس تشتمل أرضُ مصر بعد الفسطاط الذى هو مقرُّ الملك وكرسيُّ الدولة، على مدائنَ لها قدرٌ فى كثرتها ولا فخامتها، لكن أجلُّ مدائنها وأفخرها أما فى الجهة الشمالية من الفسطاط فالإسكندرية وتنيس ودمياط، وأما فى الجهة الجنوبية إلى أقصى الصعيد فقوص وقفط. فهذه صفة أرض مصر على الجملة.

* * *

(١) وأما النيل فينبوعه من وراء خط الاستواء، من جبل هناك يعرف بجبل القمَر، فإنه يبتدئ بالتزيُّد فى شهر أبيب(٢)، الذى هو بالرومية يولية(٣). والمصريون يقولون: «إذا دخل أبيب، كان للماء دبيب». وعند ابتدائه فى التزيد(٤) تتغير جميعُ كيفياته وتفسُد، والسّبب الموجب لذلك مُرورُه بنقائع مياهٍ آجنة(٥) يخالطها فيجتلبها، ويستخرجها معه ويستصحبها، إلى غير ذلك مما يحتمل(٦). فتصير مثل الحال التى وصفه بها الأمير تميم بن المعز لدين الله:

أما ترى الرعدَ بكى فاشتكى ... والبرقَ قد أومض فاستضحكا(٧)

فاشربْ على غيمٍ كصِبْغ الدُّجى ... أضحَكَ وجهَ الأرضِ لمّا بكى(٨)

[وقد حكى العودُ أنينَ الهوى ... لكنّه جوَّدَ فيما حكى](٩)

---

(١) من هنا يبتدئ نقل آخر المقريزى فى (١ : ٥٩).

(٢) فى الخطط: «فى الزايد». والتزيد والتزايد بمعنى.

(٣) ما بعد «أبيب» ليس فى الخطط. وفى الأصل: «قوليه».

(٤) فى الخطط: «الزايد».

(٥) فى الأصل: «بنقاء مع مياه آجنة»، والصواب فى الخطط.

(٦) الكلام والشعر بعد هذا لم يورده المقريزى.

(٧) فى الأصل: «الجو من إظلامه قد اشتكى»، ولا يستقيم به الوزن، إذ هو من السريع. وأثبت ما فى ديوان تميم الورقة (١٢٠) من مصورة دار الكتب ذات الرقم (١٦٠٢٥ ز)، وهذه الرواية هى التى ذكرها الثعالبى فى يتيمة الدهر (١ : ٣٤٩ الطبعة الأولى).

(٨) فى الأصل: «يشبه التحقيق كصبح» تحريف، وأثبت ما فى الديوان ويتيمة الدهر.

(٩) إثبات هذا البيت من ديوان تميم.

وانظرْ لماء النيـــل فى مدِّه كأنما صُـــندِل أو مسِّكا

أو كما قال غيره من أهل العصر ، من قصيدةٍ يصف فيها أرض مصر :

ولله مجرى النيل منها إذا الصَّـبا أرتنا به فى مَرِّها عسكراً مَجْرا[1]

فشَـــطٌّ يهزُّ السمهريّةَ ذُبَّلا وموجٌ يهزُّ البيضَ هِنديّةً تِبرا

إذا مَدَّحاكى الورد غَضًّا و إن صفا حكى ماءه لونا ولم يَعدُه نشرا[2]

وهذا نظير ما أنشدنيه عبد الله بن سريّة لنفسه :

راقنى النهرُ صـــفاءً بعـــد شوقى لصفائه

كانَ مثل الورد غَضًّا ثم قد صـــار كمائه

ولأبى بكر الصَّنَوبرىّ[3] فى مثل هذا المعنى :

ولقـــد طربتُ إلى الفرا تِ بكلِّ ذى كرمٍ ومجدِ

والشمسُ عنـــد غروبها صـــفراء مذهبةُ الفِرندِ

والمـــاء حاشيتاه خضـــ ـــرالوانِ من آسٍ ورَند[4]

تحبـــوه أيدى الريح إن هبّت على قربٍ وبُعـــدِ

بطرائفٍ من فضـــــة وطرائفٍ من لازَوَرد

والســـفن كالطير انبرت فى الجوّ من مَثْنَى وفرد

حـــتّى إذا جزَرَ الفرا تُ مضى وأعقبـــه بمدّ[5]

---

(١) يقال للجيش العظيم : بحر ، لثقله وضخمه .

(٢) حكى ماءه ، أى أشبه ماء الورد فى لونه . وفى الأصل : « حكى ماؤه نا فلم » تحريف.

(٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن بن المرار ، المعروف بالصنوبرى الحلبى . قال السمعانى فى الورقة (٣٥٥) : نسبة إلى الصنوبر . وانظر تعليلا آخر فى مختصر تاريخ دمشق (١ : ٤٥٦) . ووفاته سنة ٣٣٤ هـ . كما فى شذرات الذهب . وانظر فوات الوفيات (١ : ٧٧) .

(٤) الرند: شجر من أشجار البادية طيب الرائحة ، ويقال للآس « رند » . وفى الأصل « وورد » ولا وجه له .

(٥) فى الأصل : « بوزد » ووجهه ما أثبت .

أبصـــــرتَه وكأنه ملقًى عليـــه رداء وردٍ
متململًا كالصبّ أو ذِنَ من أحبّته بصَـــدّ
وكأنّما بِحَشـــاه ما بحشايَ من قلقٍ ووَجـــد

وقال تميم بن المعز، وأحسن التشبيه[1]:

يوم لنا بالنيـــل مختصَرُ وبكلّ يومِ مسرةٍ قِصَرُ
والسُّفْنُ تصعدُ كالخيول بنا فيه وجيشُ الماء ينحدرُ
فكأنّما أمواجُه غُرف وكأنما داراته سُرر

وقال محمد بن الحسن:

النهر مكسوٌّ من الأزهار برداً أنيقاً مثل ثوب . . .
. . . . . يجرى بمسك أو بذوب نضار[2]

وإذا استقام رأيت صفحة مُنْصُل وإذا استدارَ رأيت عَطف سِوار

وقال أبو الحسن محمد بن الوزير، فى تدرُّج زيادة الماء إصبعاً إصبعاً، ومنفعةِ ذلك التدرُّج:

أرى أبداً كثيراً مِن قليل وبدراً فى الحقيقة مِن هِلال
فلا تعجبْ فكلُّ قليلِ ماء بمصرَ مسبِّب لخليج مالِ
زيادةُ إصبعٍ فى كلّ يوم زيادةُ أذرع فى حُسن حال

فإذا كان فى الخامسَ عشرَ ذراعاً وزاد من السادسَ عشر إصبعاً واحدة كُسِر الخليج[3].

ولكسره يوم معدود، ومَقام مشهود، ومُجتمَع غاصٌّ، يحضُره العامّ والخاص. وإذا كُسِر فتحت التُّرع — وهى فوّهات الخُلجان — ففاض الماء

(١) الأبيات التالية لم أجدها فى ديوان تميم.
(٢) فى الأصل: «يجرى لسك ذوب نضار».
(٣) فى الأصل: «نفعت نفعاً عظيما»، وأثبت ما عند المقريزى فى (١ : ٥٩).

وساح ، وعم الغيطانَ والبطاح[١] ، وانضمّ الناسُ إلى أعلى مساكنهم من الضِّياع والمنازل ، وهى على آكام وربًى لا ينتهى إليها الماء ، ولا يتسلط السيل عليها ، فتعود عند ذلك أرض مصر بأسرها بحراً غامراً لما بين جبليها المكتنفين لها . وتثبت على هذه الحالِ ربما يبلغ الحدَّ المحدود ، فى مشيئة الرب المعبود . وأكثر ذلك يحوم حول ثمانيةَ عشرَ ذراعاً ، ثم يأخذ عائداً فى منصبه ، إلى مجرى النيل [ومسربه ، فينضب أولا عما كان[٢]] من الأرض مشرفاً عالياً ، ويصير فيما كان منها متطامناً[٣] ، فيترك كلَّ قرارة كالدرهم ، ويغادر كلَّ تلعة كالبُرد المسهَّم . وفى هذا الوقت من السنة تكون أرض مصر أحسن شىء منظراً ، ولاسيما متنزَّهاتها المشهورة ، وديارتها المطروقة ، كالجزيرة ، وبركة الحبَش[٤] وماجرى مجراها من المواضع التى يطرقها أهل الخلاعة ، وينتابها ذوو الأدب والطرب.

واتَّفق أن خرجنا فى مثل هذا الزمانِ إلى بركة الحبَش ، فافترشْنا من زهرها أحسنَ بساط ، واستظللنا من دوحها بأوفى رواق ، وطلعت علينا من زُجاجات الأقداح شموسٌ فى خِلَع البدور ، ونجومٌ[٥] بالصفاء تنور ، إلى أن جرى ذهبُ الأصيل على لجين الماء ، ونشِبت نار الشفق بفَحمة الظلماء ، فقال فى ذلك بعضُنا[٦] :

---

(١) فى الخطط : « وغمر القيعان والبطاح » .

(٢) مكان هذه التكملة التى أثبتها من الخطط بياض فى الأصل .

(٣) بدل هذه الجملة فى الأصل « ... متحفظ ... نسطاميا » وإكماله وصوابه من الخطط.

(٤) كانت فى ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين النيل والجبل . وسميت بركة الحبش نسبة إلى قتادة بن قيس بن حبشى الصدفى ، ممن شهد فتح مصر ، وكانت له حدائق بجوار هذه البركة تعرف بالحبش فنسبت البركة إليها . وهذه البركة موقعها اليوم منطقة الأراضى الزراعية التابعة لزمام قرية دير الطين وجزء عظيم من الأراضى الزراعية التابعة لقرية البساتين . انظر الخطط (٢ : ١٥٢) والنجوم الزاهرة (٥ : ١٤) .

(٥) فى الأصل : « وجوم » .

(٦) يعنى نفسه . وجاء فى الخطط (٢ : ١٥٥) : « وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب: « وخرجت مرة حيث بركة الحبش التى يقول فيها أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى عفا الله عنه » . وأنشد الأبيات التالية . وجاء فى (٢ : ١٦٠) : « بئر أبى سلامة وتعرف ببئر الغنم ، وهى من قبلى النوبية ، وموضعها أحسن موضع فى البركة ، وهى التى عنى أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بقوله » وأنشد الأبيات ، ورواها ياقوت فى ترجمة أمية منسوبة إليه .

لله يومى ببركة الحَبَشِ والأفْق بين الضياء والغَبَشِ
والنيلُ تحت الرياح مضطربٌ كصارم فى يمينِ مرتعشِ
قد نسجتها يدُ الغمام لنا فنحن من نَسجها على فُرُش
ونحن فى روضة مفوَّفة دُبِّج بالنَّور عِطفُها ووُشى[1]
فعاطِنى الراحَ ، إنَّ تاركها من سورة الهم غير منتعش
وسقِّنى بالكبارِ مترعةً فهنَّ أروى لشدّة العطِش[2]
فأثقلُ الناس كلِّهم رجلٌ دعاه داعى الصبا فلم يَطِش[3]

وقال أيضاً :

علِّلْ فؤادَك باللذات والطَّرب وباكِرِ الرَّاحَ بالنايات والنُّخَب
أما ترى البِركة الغنَّاءَ لابسةً وشْيًا من النَّور حاكته يد السُّحُب
وأصبحَتْ من جديد النَّبْت فى حُلَل قد أبرز القَطرُ منها كلَّ محتجِب
من سَوسنٍ شرقٍ بالطَّلّ محجِرُه وأقحوانٍ شهىِّ الظَّلْم والشنبِ
وانظر إلى الورد يحكى خدّ محتشمٍ من نَرجس ظلَّ يُبدى لحظَ مرتقِب
والياسمينَ وقد أربَى على درر والراح من دُرَر تطفو على ذهب
كم مرّة قد شفينا فيه غُلّتنا بجامٍ من فم الإبريق ملتهِب[4]
شمسٌ من الراح حيَّانا بها قمرٌ موفٍ على غصُن يهتزّ فى كُثُب
أرخى ذوائبَه ، وانهزَّ منعطفاً كصَعدة الرمح ، فى مسودَّة العَذَب
فاطربْ ودونكها فاشربْ فقد نغبت على التصابى دواعى اللهو والطرب

ومما يتعلّق بوصف النيل من أبياتٍ له كتبها إلى الأفضل ليلة المِهرجان :

---

(١) فى الأصل : «ذبح بالقطر» ، صوابه من الخطط ومعجم الأدباء .
(٢) فى الأصل : « لعل أروى» . وفى معجم الأدباء : « فهن أشفى » .
(٣) فى الأصل : « يدعوه داعى الصبا » وأثبت ما فى الخطط ومعجم البلدان .
(٤) فى الأصل : « علتنا » بالمهملة .

أبدعتَ للناس منظراً عجبا لا زالتْ تُحيي السرورَ والطربا
ألّفتِ بين الضِّدَّينِ مقتدراً فمن رأى الماء خالطَ اللهبا
كأنّما النيل والشموعُ به أفقُ سماء تألّقت شهبا
قد كانَ من فضّةٍ فصار سمًا وتحسبُ النارَ فوقه ذهبا

وقد تعاور الشعراء . . . . . شعاع على صبح . ومن مليح ما قيل فى ذلك قول بعض أهل العصر ، وهو أبو الحسن على بن أبى البشر الكاتب :

شربْنا معْ غروبِ الشمس شمساً مشعشعةً إلى وقت الطلوع
وضوء الشمع فوق النيل باد كأطراف الأسنة فى الدُّروع

وأنشد أبو منصور الثعالبى (فى يتيمة الدهر) لمنصور بن كيغلغ[1] :

قام الغلامُ يديرها فى كفه فحسبتُ بدر التّمِّ يحمل كوكبا
والبدر يجنح للأفول كأنه قد سَلّ فوق الشطّ سيفاً مذهبا[2]

وأنشد فيه[3] للقاضى أبى القاسم على بن إبراهيم بن أبى الفهم التنوخى :

أحسِنْ بدجلةَ والدُّجى متصوّبُ والبدر فى أفق السماء مغرّبُ
فكأنها فيه بساطٌ أزرقٌ وكأنه فيها طراز مذهبُ[4]

وقال ابن وكيع التِّنِّيسى :

غدير يدرِّج أمواجَه هبوبُ الشمال ومرّ الصَّبا
إذا الشمسُ من فوقه أشرقتْ توهّمته جَوشناً مُذهَبا

(١) فى الجزء الأول من يتيمة الدهر (ص ٦٥) . وقبل البيتين :

عاه الزمان بمن هويت فأعتبا يا صاحبى فسقانى واشربا
كم ليلة سامرت فيه بدرها من فوق دجلة قبل أن يتغيبا

(٢) فى الأصل : « فوق اللحظ » وفى اليتيمة : « فوق الماء » . وانظر ما سيأتى فى شعر ابن التمار الواسطى .
(٣) أى فى هذا المعنى ، أو فى كتاب يتيمة الدهر . انظر اليتيمة (١ : ٦٥) .
(٤) فى الأصل : « وكأنه فيه طراز » والوجه ما أثبت من اليتيمة .

وقال بعض أهل العصر من قصيدة :

باطلى نهر كان الر وهو اللجين به ذوبا[1]
إذا حمشته الصبا رأيته كانه زرداً مذهبا

وقال أبو عُبادة البحتريّ يصف بِركة :

إذا علتها الصبا أبدت بها حُبُكا مثلَ الجواشن مصقولاً حواشيها[2]
إذا النّجُوم تراءت فى جوانبها ليلاً حسبتَ سماء ركّبت فيها

وقد أحسن عبدُ الله بن المعتز فى قوله :

وتبدّى لهن بالنّجف المُلـ ـقِ ماء صافى الجِمام غرىٌّ[3]
فإذا قابلَتْه دُرّةُ شمس خلتَه كسّرت عليه الحلىُّ[4]

وقال ابن النّمّار الواسطى يصف ضوء القمر على دجلة :

قِفْ فانتصف من صُروف الدهر والنُّوَبِ واجمعْ بكأسك شملَ اللّهو والطّرَبِ
أمَا تَرَى الليلَ قد ولّتْ عساكرُه مهزومةً وجيوشَ اللّهو فى الطلبِ
والبدرُ فى الأفق الغربىّ تحسبه قد مدّ جسراً على الشّطّين من ذهبِ

وقال محمد بن عبد الله السّلامى :

ونهرٍ تمرح الأمواجُ فيه مِرَاحَ الخيل فى رَهَج الغبار
إذا اصفرّت عليه الشمس خِلْنا نميرَ الماء يُمزج بالعُقار

* * *

وأمّا سكّان أرضِ مصرَ فأخلاطٌ من الناس مختلفةُ الأصناف[5] ؛ من قِبط وروم وعَرب وبربر وأكرادٍ ودَيلم وحُبشان وأرمن[6] ، وغيرِ ذلك من

(١) كذا ورد البيتان على ما بهما من تحريف .
(٢) البيتان من قصيدة له يمدح فيها المتوكل ويصف بركته . الديوان ٣١٩ .
(٣) الغرى : البارد ، يقال غرى الغدير : برد ماؤه .
(٤) فى ديوان ابن المعتز ٦١ : « فإذا ضاحكته » .
(٥) فى الخطط (١ : ٤٨) : « مختلفو الأصناف » .
(٦) هذه الكلمة ليست فى الخطط .

الأصناف والأجناس على حسب اختلافاتهم ، وقالوا : إن السبب فى اختلافهم ، والموجب لاختلاطهم ، اختلاطُ المالكين لها ، والمتغلِّبين عليها ، من العمالقة واليونانيين والروم والعرب وغيرهم ، فلهذا اختلطت أنسابُهم فاقتصروا من التعريف بأنفسهم على الانتساب إلى مواضعهم[1] ، والانتماء إلى مساقطهم ومواقعهم .

وحكى جماعةٌ من المؤرّخين أنهم كانوا فى الزمن السالف عُبَّادَ أصنام ، ومدبرى هياكل ، إلى أن ظهر دينُ النَّصرانية وغَلب على أرض مصر فتنصَّروا ، وبقُوا على ذلك إلى أن فتحها المسلمون فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأسلم بعضُهم وبقى بعضٌ على دين النصرانية ، ومذهبهم مذهب اليعاقبة .

وأما أخلاقهم فالغالب عليهم اتّباع الشهوات ، والانهماكُ فى اللذات ، والاشتغال بالتُّرّهات ، والتصديقُ بالمحالات ، وضعفُ المرائر والعزَمات ، إلى غير ذلك مما حكاه أبو الحسين على بن رضوان فى ذلك واقتصَّه ، وأورده من الأمور الطبيعية وموجبه[2] ، وكفى به حَكَماً منصفاً ، وشاهداً عدلاً .

وحكى الوصيفىُّ فى كتابه الذى ألَّفه فى أخبار مصر أنَّ أهلَها فى الزمن السابق كانوا يعتقدون أنَّ هذا العالم ، الذى هو عالمُ الكون والفساد أقام برهةً من الدهر خالياً من نوع الإنسان ، عامراً بأنواع أُخَر غير الإنسان ، وأن تلك الأنواعَ مختلفةٌ على خِلق فاذَّة[3] ، وهيئات شاذَّة ، ثم حدث نوعُ الإنسان فنازَعَ تلك الأنواعَ فغلبها واستولى عليها ، وأفنى أكثرَها قتلاً ، وشرَّد ما بقى منها إلى القفار ، وأن تلك المشرَّدة هى الغيلان والسعالى وغير ذلك ، مما حكاه من اعتقاداتهم المستحيلة ، وتصوُّراتهم الفاسدة ، وتوهُّماتهم النافرة . إلا أنَّه يظهر من

---

(١) فى الخطط : « على الإشارة إلى مواضعهم » .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة .

(٣) الفاذة : المنفردة . وفى الحديث : « هذه الآية الفاذة » ، أى المنفردة فى معناها .

أمرهم أنَّه كان فيهم طائفةٌ من ذوى المعارف والعلوم ، خصوصاً بعلم الهندسة والنجوم[١] . ويدلُّ على ذلك ما خلفوه من الأشغال[٢] البديعة المعجزة ، كالأهرام والبَرابىّ ، فإنها من الآثار التى حيَّرت الأذهان[٣] [الثاقبة ، واستعجزت الأفكار الراجحة] ، وتركت لها شغلاً بالتعجُّب منها ، والتفكُّر فيها . وفى مثلها يقول أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرى فى قصيدته التى يرثى بها أباه[٤] :

تضلُّ العقول ألْهبْرزيَّاتُ رشدها ولا يسلمُ الرأى القويم من ألأَفْنِ

وقد كان أربابُ الفصاحة كلَّما رأوا حسَناً عدُّوه من صَنعة الجنّ

وأىُّ شىء أعجبُ وأغرب بعد مقدورات الله ومصنوعاته ، من القدرة على بناء جسم [جَسيم[٥]] من أعظم الحجارة ، مربع القاعدة مخروط الشكل ، ارتفاع عموده ثلثمائة ذراع ونحو سبعةَ عشر ذراعاً[٦] يحيط به أربعة سطوح مثلثات متساويات الأضلاع ، طول كلِّ ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا[٧] وهو مع هذا العظم[٨] ، من إحكام الصَّنعة وإتقانها[٩] ، فى غايةٍ من حسن التقدير بحيث لم يتأثّر[١٠] إلى هلمّ جرّا[١١] بعصف الرياح وهَطْل السحاب ،

---

(١) فى الخطط (١ : ١١٨) : « وخصوصاً علم الهندسة والنجوم » .

(٢) فى الخطط : « من الصنائع » .

(٣) فى الأصل : « الآثار البعيدة من الأذهان » صوابه من الخطط .

(٤) فى سقط الزند (١ : ١٩٦) بشرح التنوير .

(٥) هذه من الخطط .

(٦) فى الخطط : « تسعة عشر ذراعا » . والذراع يذكر ويؤنث .

(٧) فى النجوم الزاهرة (١ : ٩٨) نقلا عن أبى الصلت : « وسبعون ذراعاً » .

(٨) فى الأصل : « مع هذا الطول منه » وكتب إزاءه : « فى العظم » بدلا من « الطول منه » وأثبت ما فى الخطط .

(٩) بدله فى الخطط : « وإتقان الهندام » .

(١٠) فى الأصل : « وهو لا يتأثر » ، وأثبت ما فى الخطط .

(١١) كذا ورد فى الأصل والخطط . ولعلها : « إلى اليوم وهلمّ جرا » .

وزعزعة الزلازل . وهذه صفة كلٍّ واحد الهرمين المحاذيين للفسطاط من الجانب الغربي ، على ما شاهدناه منهما[١] .

وقال بعضهم وقد ذكر عجائب مصر : « وما على وجه الأرض بَنِيَّة إلا وأنا أرثي لها من الليل والنهار ، إلا الهرمين فإني أرثي لليل والنهار منهما » . وهذان الهرمان[٢] لهما إشرافٌ على أرض مصر و إطلالٌ [على] بطائحها ، وإصعادٌ على ذُراها . وهما اللذان أراد أبو الطيب المتنبي بقوله :

أين الذى الهرمانِ من بُنيانه ما قومُه ، ما يومُه ، ما المصرع[٣]
كنا نظنُّ ديارَه مملوءةً ذهباً فمات وكلُّ دار بلقعٌ[٤]
تتخلَّف الآثارُ عن أربابها حيناً ويُدركها الخراب فتتبع[٥]

واتّفق أن خرجنا يوماً إليهما ، فلما أطفنا بهما واستدرنا حولهما كثُر تعجبنا منهما ، فتعاطينا القولَ فيهما ، فقال بعضنا[٦] :

بعيشك هل أبصرتَ أعجبَ منظرا على طُول ما أبصرتَ من هرمَيْ مصر[٧]
[أنافا عِنانا للسماء وأشرفا على الجوِّ إشرافَ السِّماكِ أو النَّسر[٨]

---

(١) فى الأصل : « منها » ، والصواب فى الخطط .

(٢) فى الأصل : « أرثى لليل والنهار منها على وهذان الهرمان من أعظمها » وأثبت الصواب من الخطط .

(٣) من قصيدة له فى ديوانه (١ : ٤٠٥) بشرح العكبرى ، يرثى بها أبا شجاع فاتكا .

(٤) هذا البيت لم يورده المقريزى ، وهو هنا فى غير وضعه الطبيعى . وموضعه فى الديوان بعد بيت يتلو الثالث هنا ؛ لأن ضمير « دياره » عائد إلى أبى شجاع فى البيت المشار إليه ، وهو :

لم يرض قلب أبى شجاع مبلغ قبل الممات ولم يسعه موضع

(٥) فى الخطط : « عن سكانها » . وفى الديوان : « عن أصحابها » .

(٦) فى بدائه البدائه ١٣٦ أن الذى قال الشعر هو أبو الصلت نفسه .

(٧) بعد هذا فى الأصل بياض بقدر صفحتين ، وقد وفقت لسد هذا الفراغ بما نقله المقريزى فى الخطط (١ : ١١٨ — ١١٩) ؛ ووضعت هذا البيت بين معقفى التكملة : [ ] .

(٨) فى بدائه البدائه : « أنافا بأكناف السماء » .

وقد وافيَا نشزاً من الأرض عالياً كأنهما نَهْدانِ قاما على صدر[1]

وزعم قومٌ أن الأهرام قبورُ ملوكٍ عظام ، آثروا أن يتميَّزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم ، كما تميّزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم ، كما تميزوا عنهم فى حياتهم ، وتوخَّوا أن يبقى ذكرُهم بسببها على تطاول الدهور وتراخى العُصور .

ولما وصل الخليفة المأمونُ إلى مصرَ أمر بنقبها ، فنُقب أحدُ الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جُهد شديد ، وعناء طويل ، فوجدوا داخله مهاوِيَ ومزالقَ يهولُ أمرُها ، ويعسُر السلوك فيها ، ووجدوا فى أعلاها بيتاً مكعباً ، طول كل من أضلاعه نحوٌ من ثمانية أذرع ، وفى وسطه حَوْض رَخام مطبَق ، فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غيرَ رمّة بالية ، قد أتت عليها العصور الخالية ، فعند ذلك أمر المأمون بالكفِّ عن نقب ما سواه . ويقال إن النفقة على نقبه كانت عظيمة ، والمؤونةَ شديدة .

ومن الناس مَن زعم أن هرمس الأوّل ، المدعو بالمثلّث بالنبوة والملك والحكمة ، وهو الذى يسميه العبرانيون خنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شِيث بن آدم عليه السلام — وهو إدريس عليه السلام — استدلَّ من أحوال الكواكب على كَون الطُّوفان يعمُّ الأرض ، فأكثرَ من بُنيان الأهرام ، وإيداعِها الأموالَ وصحائف العلوم ، وما يُشفِق عليه من الذَّهاب والدُّروس ، حفظاً لها ، واحتياطاً عليها . ويقال : إنّ الذى بناها ملك اسمه سوريد ابن سهلوق بن سرياق . وقال آخرون : إن الذى بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط شدّاد بن عاد ، لرؤيا رآها . والقِبط تنكر دخولَ العمالقة بلد مصر ، وتحقّق أن

(١) بعده فى بدائه البدائه : « وصنع أبو منصور ظافر الحداد :

تأمل هيئة الهرمين وانظر وبينهما أبو الهول العجيب
كعمارتين على رحيل بعجبين بينهما رقيب
وفيض البحر بينهما دموع وصيوت الريح بينهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب تخلف فهو محزون كئيب »

بانيهما سوريد[١] ، لرؤيا رآها ، وهى أنّ آفة تنزل من السماء ، وهى الطوفان . وقالوا إنه بناهما فى مدة ستة أشهر ، وغشّاهما بالديباج الملون ، وكتب عليهما :

« قد بنيناهما فى ستة أشهر ، قل لمن يأتى من بعدنا يهدمهما فى ستمائة سنة ، فالهدم أيسر من البنيان ، وكسوناهما الديباج الملون فليكسُهُما حصراً ، فالحصر أهون من الديباج » .

ورأينا سطوحَ كلٍّ واحد من هذين الهرمين مخطوطةً من أعلاها إلى أسفلها بسطورٍ متضايقة متوازية ، مِن كتابةٍ بانيها ، لا تُعرف اليومَ أحرفُها ، ولا تُفهَم معانيها . وبالجملة الأمر فيها عجيب ، حتى إنّ غاية الوصف لها والإغراق فى العبارة عن حقيقة الموصوف منها ، بخلاف ما قاله على[٢]] بن العباس الرومى ، وإن تباعد الموصوفان ، وتباين المقصودان ، إذ يقول :

إذا ما وصفتَ امرأً لا مرىءٌ فلا تغـــلُ فى وصفه واقصِدِ
فإنّك إن تغـــلُ تغلُ الظنو نُ فيـــه إلى الغَرض الأبعدِ
فيصغر من حيث عـــظَّمته لفضـــل المَغيب على المشهد

وكذلك أمر البرابى ، كبربا إخميم ، وبربا سمنود[٣] ، وبربا دندرا[٤] ، فإن فيها من الإحكام وجَودة الشكل وحسن التصوير ، ما يدلُّ على أن عُمّارها

(١) فى النجوم الزاهرة : « سويرد وقيل سويد » .

(٢) إلى هنا ينتهى السقط الذى نبهنا عليه فى الحاشية ٧ من صفحة ٢٦ .

(٣) فى الأصل : « سمندو » صوابه من المقريزى عنـد ذكر البرابى ، وقال ياقوت : « كورة السمنودية كان فيها بربا وكانت إحدى العجائب . قال القضاعى : ذكر عن أبى عمرو الكندى أنه قال : رأيته وقد خزن فيه بعض عمالها قرظاً ، فرأيت الجمل إذا دنا من بابه وأراد أن يدخله سقط كل دبيب فى القرظ ، ولم يدخل منه شىء إلى البربا . ثم خرب عنـد الخمسين وثلثمائة » .

(٤) فى الأصل : « ديدرا » وإنما هى « دندرا » أو « دندرة » أو « أندرا » كما فى معجم البلدان . وفى بربا دندرة يقول المقريزى : « وهو بربا عجيب ، فيه ثمانون ومائة كوة تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ، ثم الثانية حتى تنتهى إلى آخرها ، ثم تكر راجعة ، إلى موضع بدئها » . وأنشد ياقوت فى مطلع أبيات :

إن قاض بدندرا قال بيتين سطرا

ذوو عقول راجحة ، وأنّه قد كانت لهم بالحكمة عنايةٌ بالغة ، لا سيما بصناعتى الهندسة والنجوم .

وقال بعضُ أهلِ العناية بأخبار الأمم وتواريخهم : كان بمصرَ بعد الطُّوفان علماء بضروب الحكمة ، من العلوم الرياضيّة والطبيعية والإلهيّة ، ومتحقِّقون بعلم المَرَايا المحرِقة ، وبالطِّلسمات والنِّير نجيات وغير ذلك .

والمُلك بمصرَ من قديم الزمان بمدينة منف ، وهى فى غربى النيل ، على مسافة اثنى عشر ميلا من الفسطاط . ولما بنى الإسكندرُ مدينةَ (الإسكندرية) منذ نحو ألفِ سنة وأربعمائة سنة وأربعين سنة ، رَغِبَ الناسُ فى عمارتها[1] ، وكانت دارَ العلم ، ومَقرَّ الحكمة ، إلى أن تغَلَّب عليها المسلمون فى خلافة عمرَ بنِ الخطاب ، رضوان الله عليه ، واختط عمرو بن العاص مدينته المعروفة (بالفسطاط) فانسرب أهلُ مصرَ وغيرُهم من العرب والعجم إلى سكناها ، فصارت قاعدةَ ديارِ مصر ومركزَها إلى وقتنا هذا .

فيقال إنّ من قدماء أهل العلم بها هرمس الثالث[2] ، وكان فيلسوفاً جَوّالا فى البلاد ، طوافاً فى المدائن ، عالماً بنُصبتها[3] ، وطوالعها وطبائع أهلها ، وله تصانيف جليلة مفيدة فى فنون من الحكمة .

ومنهم ديوفنطس[4] صاحب المقالات الموضوعة فى علم العدد وخواصه على طريق الجبر والمقابلة .

---

(١) فى الأصل : « وأعجب فى عمارتها » صوابه من المقريزى (١ : ١٣٥) .

(٢) فى الأصل : « هرمس الثانى » والصواب ما أثبت من عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة (١ : ١٧) حيث ذكر الهرامسة الثلاثة ، وقال فى هرمس هذا : « وأما هرمس الثالث فإنه سكن مدينة مصر ، وكان بعد الطوفان » . وأما هرمس الثانى فهو كلدانى من أهل بابل . وهرمس الأول مصرى كان قبل الطوفان ، وهو عند العرب إدريس عليه السلام .

(٣) فى الأصل : « بنصبها » ، وفى عيون الأنباء : « عالماً بنصبة المدائن وطبائعها » .

(٤) ذكره ابن أبى أصيبعة فى (١ : ٢٤٥) فى أثناء ترجمة « قسطا بن لوقا » ، قال : « كتاب فى ترجمة ديوفنطس فى الجبر والمقابلة » . وذكره أيضاً عرضاً فى ترجمة ابن الهيثم (٢ : ٩٨) .

ومنهم الإسكندرانى[١] صنف كتاب الأفلاك ، وكتاب القانون فى تقويم الكواكب .

ومنهم روسم[٢] صاحب التصانيف فى الكيميا .

ومنهم أنقلاؤس الإسكندرى[٣] وأصحابه ، الذين اختصروا كتب جالينوس فى صناعة الطب ، وألّفوها على طريق المسألة والجواب ، يدلُّ حسن اختصارِهم لها على وفور علمهم ، وفَضل معرفتهم .

ومنهم واليس[٤] صاحب الكتاب المعروف بالبريدج الرومى ، المصنّف فى فى المواليد وما يتقدمها من المدخل إلى علم أحكام النجوم . ويقال إنه الذى استخرج بطول التحرّى[٥] ومواصلة العَناء ، جدودَ المصريين .

فهؤلاء هم المشهورون من أهل الحكمة بمصر فى ذلك الزمان . وأما زماننا هذا فقد دثر منها كلُّ علم وامّحى رسمُه ، وجُهل إسمه ، ولم يبق إلّا رَعاع وغُثاء وبَهَلة دهماء ، وعامّة عمياء ، وجُلُّهم أهلُ رعانة[٦] ولهم خبرةٌ بالكيد والمكر ، وفيهم

---

(١) لعله « أقطيمن الإسكندرانى » . قال القفطى فى أخبار الحكماء (٥٠) : « كان عالماً بالرياضة محققاً للأرصاد خبيراً بعمل آلاتها » . اجتمع هو وميطن على الرصد بمدينة الإسكندرية من الديار المصرية ، ورصدا وأثبتا ما تحققاه ، وتداوله العلماء بعدهم إلى زمن بطليموس القلوذى الراصد بالإسكندرية . وكان زمنهما قبل زمانه بخمسمائة وإحدى وسبعين سنة » .

(٢) ذكره القفطى فى ص ١٢٧ ، بلفظ « روشم » قال : « روشم المصرى ، هذا الرجل كان بمصر قبل الإسلام ، وهو قيم بعلوم الكيمياء وأصولها وتفصيلها وأحكام أمر تركيبها ... وله فى ذلك كتب جليلة مشهورة عند علماء هذا النوع يتنافسون فى تحصيلها والظفر بها » .

(٣) ترجم له القفطى فى (٥١ — ٥٢) وابن أبى أصيبعة فى (١ : ١٠٣ — ١٠٤)

(٤) ذكره القفطى فى (١٧٢) قال : « فاليس المصرى ، وربما قيل واليس الرومى ، كان حكيما فاضلا فى الزمن الأول بعلوم الرياضة وأحكام النجوم . وله فى ذلك المؤلفات الجليلة المشتملة من هذا النوع على المقاصد الجليلة . وهو مؤلف الكتاب المشهور بين أهل هذه الصناعة ، المسمى بالبريدج الرومى » .

(٥) فى الأصل : « التجربة » .

(٦) المعروف فى هذا المصدر : الرعن ، والرعونة .

بالفطرة قوّةٌ عليه وتلطُّف فيه وهدايةٌ إليه ، لِمَا فى أخلاقهم من المَلَق والسياسة[1] التى أربَوا فيها على كلِّ مَن تقدَّم وتأخّر ، وخُصُّوا بالإفراط فيها دون جميع الأمم ، حتّى صار أمرهم فى ذلك مشهوراً ، والمَثَلُ بهم مضروبا .

وفى خبثهم ومكرهم يقول أبو نواس[2] :

مَحَضتكمُ يا أهل مصرَ نصيحتى ألَا فخُذُوا من ناصحٍ بنصيب[3]

رَماكم أميرُ المؤمنين بحيّةٍ أكولٍ لحيّات البلاد شَروب

[ولا تثِبوا وثبَ السَّفاة فتركبوا على حدِّ] حامى الظهر غيرِ ركوب[4]

فإن يك باقى إفك فرعون فيكم فإن عصا موسى بكف خصيب

* * *

وأما حالُ المنتسبين إلى العلم منهم فأنا ذاكر منها ماوقفت عليه ، وكشفت بالمحنة عنه . كنت فى أول جلوسى بها شديدَ العناية بكتب جالينوس و بقراط ، باحثاً عن مُشكلها ، فاحصاً عن مستغلِقها ، فحرَصت كلَّ الحرص ، وجهَدت كلَّ الجهد على أن أجدَ من أهل هذه الصناعة مَن استفيد منه وأستزيد بمذاكرته ، وأقدح خاطرى بمفاوضته ، فلم أجدْ غيرَ قومٍ طبع الله على قلوبهم وأعمى أبصارَهم ، وطمس أفهامَهم ، وحال بين الحكمة و بينهم ، فكانوا و إيّاىَ ، كما قال الشاعر :

قومٌ إذا جالستُهمْ صدئتْ بقربهم العقولْ

لا يُفهمونى قولَهم ويدقُّ عنهم ما أقول

فهمُ كثيرٌ بى كما أنِّى بجمعهم قليل

---

(١) فى الخطط (١ : ٤٩) : « الملق والبشاعة » .

(٢) الأبيات الأربعة فى ديوانه (١٠٣ — ١٠٤) يمدح بها الخصيب أمير مصر .

(٣) فى الديوان : « منحتكم يا أهل مصر » .

(٤) التكملة من الديوان (١٠٣) ، وموضعها بياض فى الأصل . حامى الظهر : هو البعير الذى حمى ظهره فيترك فلا ينتفع منه بشىء ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وفى الأصل : « حانى الظهر » صوابه من الديوان . والبيت لم يرد الخطط .

وقد تخلّقوا بكثرة الخِلاف ، وقلة الإنصاف ، ولزموا البُهْتَ والمعاندة ، والشغَب والمكابرة ، وجهلَهم بصناعة الكتب وخلوهم من أدواتها ، وعدمَهم لعددها وآلاتها ، وإهمالَهم لشرائطها ، وإغفالَهم للوازمها ، وقصورَ أذهانهم عن إدراك دقائقها ، وبُعدَ عقولهم عن تصوُّر حقائقها ، ولم يعلموا أنَّ الطبيبَ محتاج إلى أشياء تعينُه فى صناعته وتفتح له مغالقَها ، وتوضّح مُشكلها ، وتشرح مشتبِهها ، وتبيِّن له مستعجِمَها ، وتذيقه بردَ اليقين[1] ، وتجلو عن عين بصيرته ظُلَمَ الشُّكوك والظُّنون ، وهى العلوم الطبيعية التى تعرِّفه مبادِئَها وأوائلها ، وتعطيه استُقُصَّاتها وعناصرَها[2] ، والقوانينُ القياسية التى تسدِّد ذهنَه نحوَ الصواب فيما يلتمس علمَه ، ويتطلَّب فهمَه ، وتعرِّفه كيف يُحِيل[3] مطلوباتها إليها ، ويبنى قياساتِه عليها ، وكيف يتطرَّق من جليِّها إلى خفيِّها ، ويستدلّ بظاهرها على غائبها ، ويأمن الزَّلَل ، ووقوعَ الخطل والخلل ، ويحقِّق الأسبابَ والعلل .

ولا بدَّ لمن أراد أن يكون طبيبا كاملا ، وحكيما فاضلا ، من النظر فى العلوم الرياضية ، ولا سيما النجوميّة منها والموسيقاوِيّة . وأولى الناس بأن يكون على هذه الصِّفة أطباء الملِك التُّبَّعى الألمعىّ ، الذى إنما يستعمل الطبيب والمنجِّمَ على جهة الاستظهار ، لا على جهة الافتقار والاضطرار . وكيف ونظرُه الأعلى ، وقِدحُه المعلَّى ، وسهمُه الأسدُّ ، وباعه الأمَدّ . ومن كان مثلَه — ولا مثلَ له فى تطبيق المفاصل ، وإصابة الشوا كل — فخليقٌ به أن يَختار ، ولا يُختار ، ويستبدّ ، ولا يستمدّ .

---

(١) فى الأصل : « برد النفس » والوجه ما أثبت .

(٢) الأستقص ، ويقال الأسطقص ، هو الشىء البسيط الذى منه يتركب المركب ، كالحجارة والقراميد والجذوع التى يتركب منها القصر ، وكالحروف التى منها يتركب الكلام ، وكالواحد الذى يتركب منه العدد . والاسطقسات الأربعة هى النار والهواء والماء والأرض ، انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى (٨٢) .

(٣) فى الأصل : « يحلل » .

هيهاتَ أن يأتي الزمانُ بمثله إنَّ الزمانَ بمثله لبخيلُ

فلمَّا [لم] يأخذوا نفوسَهم بالإتقان لما قد سَلَف تمديدُه ، بل استطالوه ، واستبعدوا الأمدَ إليه ، ورأوا أنَّ غرضَهم من صناعة الطب الذى هو عندهم وبحسب رأيهم ، التكسُّبُ بما يتمُّ لهم بأقربَ مما شرَطه الأوائل مطلوباً ، وأسهلَ مراما ، لم يحفظوا[1] غيرَ أسماء أدويةٍ قليلة العدد يصرِّفونها فى مداواة كلِّ مريض دونَ إعمالِ فكرِهم فى حقيقة نوعه وسببه ، ومقتضيه وموجِبه .

وقد ذمَّ جالينوسُ من فِرَق الطبِّ الثلاثِ الفرقةَ الجبَلِيّة[2] ، لحذْقِها جميعَ لوازم الصناعة الطبية ، واقتصارِها فى المداواة على النَّظر فى المرض ، هل من جنس الاستفراغ فيقابل بالإمساك ، أو من جنس الإمساك فيقابل بالاستفراغ ، دون الفحص عن أمر المِزاج والسنِّ والسجيّة ، والبلد والعادة والماهيّة . فما ظنك بجالينوسَ لو شاهدَ هؤلاء الذين لا يثبُتون على نِحلة ، ولا ينتسبون إلى فرقة ، فإن برئ على أيديهم عليلٌ فبُرؤُه على جهة الاتِّفاق ، وإن هلَك فبالواجب والاستحقاق ، وهم كما قال الشاعر فى مثلهم :

وطبيبٍ مجرِّب ما له بالـ ـنُّجح فى كلِّ ما يجرب عادهْ
مرَّ يومًا على عليلٍ فقلنا قَرَّ عيناً فقد رُزِقْتَ الشهاده

أو كما قال الآخر فى بعض حكمائنا المشهورين عند العوامّ بالحذق والتقدم :

قل للوَرَى أنت وابنُ زُهر قد جوّزا الحدَّ والنهايهْ
ترفُقا بالورَى قليلا فى واحدٍ منكما كفايه

أو كما قال بعضُ أهل العصر أيضاً فيهم :

وطبيبٍ مُشعبِذٍ يمزُج الطبَّ بالرُّقَى

(١) فى الأصل : « فلم يحفظوا » .
(٢) فى الأصل : « الفرق الجبلية » .

ما رأيناه قط طبّ عليلاً فوُقّا
بل عَدِم الصحّةَ فى الجسم والقلب والبقا
ذو صفاتٍ تُغادِر الجسمَ مما به لَقِى
عادمًا للحَراك والحسِّ والخِفّة والنقا[1]
قد سقاه بها الحِما مَ ولم يَدرِ ما سَقى

وقال آخر :

ما خَطَرَ النبضُ على باله يومًا ولا يَعرف ما الماء[2]
بل ظنَّ أن الطبَّ دُرّاعةٌ ولحيةٌ كالقطن بيضاء[3]

* * *

ومن ظَريف ما سمعتُه أنّه كان بمصرَ منذُ عهدٍ قريب رجلٌ ملازمٌ للمارستان يُستدعَى للمرضى كما تستدعَى الأطبّاء ، فيدخلُ على المريض فيحكى له حكاياتٍ مضحكة ، وخُرافاتٍ مسلِّية ، ويُخرج له وجوهاً مضحكة ، وكان مع ذلك لطيفاً فى إضحاكه وبه خبيراً ، وعليه قديراً ؛ فإذا انشرح صدرُ المريض وعادت إليه قوّتُه تَرَكه وانصرف ، فإن احتاجَ إلى معاودة المريض عاده إلى أن يبرأ ، أو يكون منه ما شاء الله .

فليت أطبّاء عصرنا هذا بأسرِهم قدَروا على مثل هذا العلاج الذى لا مضَرّة فيه ولا غائلةَ له ، بل أمرُه على العليل هيِّن ، ونفعُه ظاهر بيِّن ؛ كيف لا وهو ينشّط النفس ويبسط الحرارةَ الغريزية ، ويقوِّى القوى الطبيعية ، ويقوِّى البدن على دفع الأخلاط الرديّة المؤذية والفضول ، مع الاستظهار بحفظ الأصول .

وأكثر أطبائها المبرزين[4] نصارى ويهود ، وفى ذلك يقول بعضهم :

(١) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل .
(٢) يعنى اختبار ماء المريض ، وهو بوله .
(٣) الدراعة : كرمانة : جبة مشقوقة المقدم .
(٤) فى الأصل : « الزبرقين » .

أقول للمسلمين طـــرًّا تَبْغُون فى طبِّنا[1] اشتهارا
هيهـــاتَ حاولتمُ محالا كونوا إذاً هوداً أو نصارى

[2] وأشبهُ مَن رأيتُه منهم وأدخَلُه فى عِداد الأطباء ، رجلٌ من اليهود يدعى أبا الخير سلامةَ بن رَحمون ، فإنّه لقى أبا الوفاء[3] المبشِّر بن فاتك[4] ، فأخذ عنه شيئاً من صناعة المنطق تخصَّص به وتميَّزَ عن أضرابه ، وأدرك أبا كثير بن الزفان[5] تلميذ أبى الحسن على بن رِضوان[6] ، وقرأ عليه بعضَ كتبِ جالينوس ، ثم نصبَ نفسَه لتدريس جميعِ كتب المنطق ، وجميعِ كتب الفلسفة الطبيعية والإلهية ، وشرح بزعمه وفسَّر ولخص ، ولم يكن بذاك[7] فى تحصيله وتحقيقه ، واستقصائه عن لطيف العلم ودقيقه ، بل كان يَكثُر[8] كلامُه فيضلّ ، ويُسرع جوابُه فيَزِلّ . ولقد سألتُه فى أول لقائى واجتماعى به ، عن مسائلَ استفتحت مباحثته[9] بها مما يمكن أن يفهمها مَن لم يمتدَّ بعد فى العلم باعُه ، ولم يكثر تبحُّره واتساعُه ، فأجاب عنها بما أبانَ عن تقصيره ونطق بعجزه ، وأعربَ عن سوء

(١) فى الأصل : « طبها » .
(٢) النص التالى نقله القفطى فى إخبار العلماء (١٤٢ — ١٤٣) ، وكذلك ابن أبى أصيبعة (٢ : ١٠٦) .
(٣) بعد هذه تبتدئ القطعة المحفوظة بدار الكتب رقم ٣٥٤ تاريخ من الرسالة المصرية وسأشير إليها فى التعليقات برمز « ق » .
(٤) ترجم له القفطى (١٧٦ — ١٧٧) وقال : « هـذا رجل أصله من دمشق وموطنه مصر ، وهو من الحكماء الأماثل فى علم الأوائل ... وكانت له ابنة عمرت بعده وروت بالإسكندريه أحاديث نبوية . وكان فى آخر المائة الخامسة للهجرة » .
(٥) عند القفطى : « الكثير البرقانى » تحريف . وأبو كثير كنية له ، واسمه أفرائيم ابن الزفان ، قال ابن أبى أصيبعة فى (٢ : ١٠٥) : « إسرائيلى المذهب ، وهو من الأطباء المشهورين بديار مصر » . وقد اشترى منه الأفضل بن أمير الجيوش عشرة آلاف مجلد من كتبه ، كان قد ساوم عليها بعض العراقيين .
(٦) انظر ترجمته عند ابن أبى أصيبعة (٢ : ٩٩) .
(٧) ق وابن أبى أصيبعة : « ولم يكن هناك » . وعند القفطى : « ولم يكن هنالك » .
(٨) فى الأصل : « تراه يكثر » ، وأثبت ما فى سائر المصادر .
(٩) فى الأصل : استقبحت مباحثه بها » ، صوابه فى سائر المصادر .

تصوّره وفهمه . وكانَ مثَله فى عِظَم دعاويه ، وقصورِه عن أيسر ما هو متعاطيه[١] كقول الشاعر :

يشمِّر لُجّ عن ســـــاقه ويغمره الموجُ فى السَّاحلِ

أو كما قال آخر :

تمنيتمُ مائتىْ فارس فردّكمُ فارسٌ واحدُ[٢]

وكان[٣] بمصر طبيب من أهل أنطاكية يسمى « جرجس » ، ويلقب بالفيلسوف ، على نحو ما قيل فى الغراب : أبو البيضاء ، وفى اللديغ : سليم ، وقد تفرغ للتولُّع [بأبى الخير سلامة بن رحمون اليهودى الطبيب المصرى[٤]] والإزراء عليه ، وكان يزوِّر فصولا طبِّية وفلسفية يُبرزها فى مَعارض ألفاظ القوم ، وهى مُحالٌ لا معنى لها ، وفارغة لا فائدة فيها ، ثم يُنفِذها[٥] إلى مَن يسأله عن معانيها ، ويستوضحُه أغراضَها ، فيتكلّم عليها ويشرحها بزعمه دون تيقُّظ[٦] و[لا[٧]] تحفظ ، بل باسترسالٍ واستعجال ، وقلّةِ اكتراثٍ وسوء اهتبال ، فيُؤخذ منه[٨] ما يُضحَك منه ويشرح الصَّدر .

[وأُنشِدت[٩]] لجرجسَ هذا فيه ، وهو من أحسنِ ما سمعته فى هجو طبيب مشؤوم[١٠] ، وأنا متَّهم له فيه :

---

(١) فى الأصل : « نشر ما هو متعاطيه » صوابه فى سائرالمصادر .
(٢) إلى هنا ينتهى نقل القفطى فى ١٤٢ — ١٤٣ . وانظر البيان (١ : ٢٤٩) .
(٣) النص التالى نقله القفطى فى ١٠٩ وابن أبى أصيبعة فى (٢ : ١٠٦ — ١٠٧) .
(٤) التكملة من القفطى . وبدلها عند ابن أبى أصيبعة : « بابن رحمون » .
(٥) ق فقط . « ثم ينفذ بها » .
(٦) ق فقط : « تيقن » .
(٧) هذه من القفطى وابن أبى أصيبعة .
(٨) القفطى وابن أبى أصيبعة : « فيوجد فيها عنه » .
(٩) هذه من ق والقفطى وابن أبى أصيبعة .
(١٠) كلمة « مشؤوم » وما بعدها ساقط من ق . وفى نسخة الأصل : « ومن أحسن ما قيل فى ذم الطبيب الجاهل » .

إنّ أبا الخير على جهله يخفُّ فى كفّته الفاضل
عليلُه المسكينُ من شُومه فى بَحرِ هُلْكٍ ما له ساحلُ
ثلاثةٌ تدخل فى دفعة طلعتُه والنعشُ والغاسلِ

ولبعضهم :

لأبى الخير فى العِلا ج يدٌ ما تقصِّرُ
كلُّ من يستطبُّه بعد يومين يُقبَر
والذى غاب عنكمُ وشهدناهُ أكثر[1]

ومما قيل فيه :

جنونُ أبى الخير الجُنونُ بعينه وكلُّ جنونٍ عندَه غايةُ العقلِ
خُذوه فغُلُّوهُ وشُدُّوا وَثاقَه فما عاقلٌ من يستهين بمختلِّ
وقد كان يؤذى الناسَ بالقول وحدَهُ فقد صار يؤذى الناسَ بالقول والفعل

وأما المنجِّمون الآن بمصر فهم وأطباؤهم كما قُدَّ الشِّراك من الجلد ، بل كما حُذِيت النَّعلُ بالنعل ، لا يتعلَّق أمثلُهم من علم النجوم بأكثَرَ من زايجة يرسُمها[2] ومرآكزَ يقوِّمها . فإما الإمعان والتبحُّر فى معرفة الأسباب والعلل[3] ، والمبادى

(١) فى نسخة الأصل : « وسمعنا بوصفه » . وأثبت ما فى ق وابن أبى أصيبعة . ولم يرو القفطى هذه الأبيات .

(٢) جاء فى « مفاتيح العلوم » للخوارزمى ١٢٧ : « الزايجة هى صورة مربعة أو مدورة تعمل لمواضع الكواكب فى الفلك لينظر فيها عند الحكم لمولد أو غيره . واشتقاقه بالفارسية من زائش ، أى المولد ، ثم أعربت الكلمة فاستعملت فى المولد وغيره » . وجاء فى معجم استينجاس (٦٠٨) : « زايجة astronomical tables » أى الجداول الفلكية . وفى نسخة الأصل : « زايرجة » وأثبت ما فى ق . والزايرجة ، هى — كما ذكر ابن خلدون فى المقدمة — فرع من فروع علم السيميا ، يمكن بها استخراج الأجوبة من الأسئلة بارتباط بين الكلمات . فمن الزايرجة المنظومة يستطاع معرفة الأجوبة بطرق خاصة ، وحساب معين يدخل فيه الجمع والطرح والضرب . وهناك كلمة أخرى مماثلة ، وهى الزيج ، وتجمع على أزياج . والزيج : صناعة حسابية بقوانين عددية يمكن بها معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية والمستقبلة ، وهو الدستور لما يسمى عند الفلكيين بالتقويم .

(٣) هذا ما فى ق . وفى نسخة الأصل : « ومعرفة الأسباب والعلل » .

الأوَل ، فليس منهم مَن يرقَى إلى هذه الدرجة ، و يسمُو إلى هذه المرتَبة ، ولا يحلِّق فى هذا الجوّ ، و يستضىء بهذا الضوء[١] إلا أبو الحسن على بن النضر[٢] المعروف بالأديب ، رضى الله عنه ، من أهل صعيدِ مصرَ الأعلى ، فإنه كان من الأفاضل [الأعيان[٣]] ، المعدودين من حسنات هذا الزَّمان[٤] . وسنذكره فيما نستأنفه إن شاء الله تعالى .

* * *

وأما الطائفة المقلِّدة التى حظُّها من المعارف القُشور دون اللبوب[٥] ، والظواهر دون البواطن ، والأشباح دون الأرواح ، فأمْثَلُ مَن بها منهم الآنَ رجلٌ يعرف برزقِ الله النحاس[٦] ، فإنّ له فى فروع هذه الصناعة بعضَ دُرْبة وتجربة ، و بتجريباتها[٧] بعض خبرة ، وهو أكبر المنجِّمين بها وكبيرهم الذى علمهم ، وأميرهم الذى يلوذون به[٨] ، فجميعُهم إليه منسوب ، وفى جريدته مكتوب ، و بفضله معترِف ، ومن بحره[٩] مغترِف ، وهو شيخ مطبوع يتطايب و يتخالع[١٠] .

ومن حكاياته الظريفة عن نفسه قال : سألتْنى امرأةٌ مِصريّة أن أنظرَ لها فى مسألة جُمَّليّة تخصُّها ، فأخذتُ ارتفاعَ الشمس للوقت ، وحقّقت درجة الطالع والبيوتَ الاثنى عشر ومركزَ الكواكب ، ورسمتُ ذلك كلَّه بين يدىَّ فى

---

(١) فى الأصل : « ولا يحلق » و « لا يستضىء » وأثبت ما فى ق .
(٢) فى الأصل : « ابن النصر » بالصاد المهملة . وأثبت ما فى ق .
(٣) هذه من ق .
(٤) ق : « من حسنات الزمان » .
(٥) فى اللسان : « ولب الجوز واللوز ونحوهما : ما فى جوفه ، والجمع اللبوب » . ق : « اللباب » ، وما أثبت من الأصل أوفق .
(٦) فى الأصل : « بن النحاس » وصوابه فى ق والقفطى ١٢٧ .
(٧) فى الأصل : « وبجزئياتها » وأثبت ما فى ق . وعند القفطى : « وبتجرباتها » .
(٨) ق : « الذى نوه بهم وقدمهم » وعند القفطى : « وكبيرهم الذى علمهم السحر » فقط .
(٩) فى الأصل : « ومن علمه » وأثبت ما فى ق .
(١٠) يتخالع : يظهر الخلاعة . وفى الأصل : « يتخالق » صوابه فى ق .

تَخت الحساب[١] ، وجعلت أتكلَّم على بيتٍ بيت منها على العادة ، وأنا فى خلالِ ذلك أتحسَّس أمرَها[٢] وهى ساكتةٌ لا تَنبِس ، فوجِمْتُ لذلك وأدركَتْنى فترةٌ عظيمة ، وألقتْ إلىَّ درهما[٣] . قال : فعاودتُ الكلام وقلت : أرى عليك قَطْعاً فى بيت مالِك[٤] فاحتفِظى واحترزى ! فقالت : الآن أصبتَ وصدقت ، قد كان والله ما ذكرت . قلت : وهل ضاع لك شىء ؟ قالت : نعم ، الدرهمُ الذى ألقيتُه إليك ! وتركَتْنى وانصرفَت .

* * *

والمصريُّون أكثرُ الناسِ استعمالاً لأحكام النجوم وتصديقاً لها وتعويلا عليها ، وشغفاً بها وسكوناً إليها ، حتّى إنه قد بلغَ من زيادة أمرهم فى ذلك إلى أن لا يتحرّكَ واحدٌ منهم حركةً من الحركات الجزئية التى لا تُحصَر فنونُها ولا تحصّل أجزاؤها وأنحاؤها ، ولا تُضبط جهاتها ، ولا تقيَّد غاياتها[٥] ، ولا تعدُّ ضروبها إلا فى طوالعَ يختارونها ، [ونُصب يعتمدونها[٦]] .

ولقد شهدتُ يوما رجلاً من الوقَّادين فى أتُّون الحمّام[٧] ، يسأل رزق الله ذكور عن ساعةٍ حميدة لقصِّ أظفاره ، فتعجّبت من سموّ همته على خساسة قدره[٨] ، ووضاعة مِهنته .

ومن الحكايات العجيبة فى فرط استعمالهم لأحكام النجوم وعنايتهم بها ،

---

(١) هذا ما فى ق ، وفى الأصل : « فى التخت » .
(٢) ق : « أتحسس لها » .
(٣) القفطى : « وكانت قد ألقت إلى درهما » .
(٤) هذا ما فى ق والقفطى ، وفى الأصل : « ضياع بيت مالك » .
(٥) ق : « ولا تقدر أساليبها » .
(٦) هذه من ق .
(٧) ق : « أتون حمام » .
(٨) ق : « مع خساسة قدره » .

ما شهدتُ بالصعيد الأعلى . وذلك أنَّ بعضَ الولاة حبس رجلاً من [بعض[1]] أهل تلك الناحية كان ينظُر فى علم النجوم ، وشَفَع[2] إليه فيه مَن يكرُم عليه ، فشفّعه فيه ، وأمر بإطلاقه وكان من الحبس فى عذاب واصب ، وجَهدٍ ناصب ، فلما أتَوْه وقالوا له : انطلِقْ لشأنك[3] ، أخرَجَ من كُمّه أصطُرلاباً فنظر فيه ثم أخذ طالعَ الوقت فنظر فيه ، فوجده مذموماً ، فسألهم أن يتركوه مكانَه[4] إلى أن يتّفِق وقتٌ يصلح للخروج من السجن ، فعادوا إلى الوالى فأخبروه بخبره[5] ، فضحِك منه وتعجّب من جهله ، وفساد عقله ، وأجابه إلى سؤاله ، وتَرَكه على حاله ، وأطال مدّةَ اعتقاله .

وفيما أوردْته من أخبار الأطباء والمنجمين الآنِ بمصرَ كفايةٌ و بلاغ ، إلى أن انتصبَ له انتصاباً ثانياً ، فأقول فيه قولا شافياً .

* * *

وأما الآن فإنى ذاكرٌ على الشرط من لقيتُه من أدبائها وظرفائها ، وفضلائها فى الأدب وعلمائها .

وأولاهم بالتقديم ، وأحقهم بالحظ الأوفر من التعظيم « القاضى أبو الحسن على ابن النضر[6] » المعروف بالأديب ، ذو الأدب الجم والعلم الواسع ، والفضل البارع . وله فى سائر أجزاء الحكمة اليد الطولى ، والرتبة الأولَى . وقد كان ورد الفسطاطَ يلتمس من وزيرها الملقب بالأفضل تصرفاً وخدمة فخاب فيه أمله ، وضاع

---

(١) هذه من ق .

(٢) ق : « فشفع » .

(٣) ق : « لسبيلك » .

(٤) فى الأصل : « أن يصبروا عليه » ، وأثبت ما فى ق .

(٥) فى الأصل : « خبره » ، وأثبت ما فى ق .

(٦) فى الأصل : « النصر » بالمهملة ، تحريف صوابه فى ق والخريدة (٢ : ١٩٥) من مخطوطة دار الكتب رقم (١٠٠٩٨ ز) والطالع السعيد للأدفوى . حيث ذكر أنه كان أحد عمال الديار المصرية فى زمن الأفضل شاهنشاه .

رجاؤه ، وأخفق سعيُه ، فقال من قصيدةٍ يعاتب فيها الزمان ، ويشكو الخَيبة والحِرمان :

بيْن التعزُّزِ والتذلُّلِ مسلكٌ ... بادى المَنار لعينِ كلِّ موفَّقِ
فاسلُكه فى كلِّ المواطن واجتنبْ ... كِبر الأبىّ وذِلّةَ المتملّق
ولقد جلبت من البضائع خيرَها ... لأَجَلِّ مختارٍ وأكرم مُتَّق[1]
ورجوتُ خَفض العيش تحت رِواقه ... لا بدّ إن نفقَت وإن لم تنفُق[2]
ظنًّا شبيهاً باليقين ولم أَخَلْ ... أنَّ الزمان بما سقانى مُشْرِقى
ولعائبى بالحرص قولُ بيّن ... لو كنت شِمتَ سحابهُ لم تطرق[3]
ما ارتَدْتُ إلاّ خيرَ مرتادٍ ولم ... أصِلِ الرجاء بحبلِ غير الأوثَق[4]
وإذا أبَى الرزقَ القضاء على امرئٍ ... لم تُغْنِ فيه حيلةُ المسترزق
ولَعَمرُ عاديةِ الخطوب وإنْ رمت ... شملى بسهم تشتُّتٍ وتفرُّق[5]
لأقارعنّ الدّهرَ دون مروءتى ... وحُرِمتُ عزَّ النصرِ إن لم أصدُق[6]

وله فى سَفرته هذه[7] وقد قوى يأسُه من بلوغ أمله ونيل بُغيته ، وعَزَم على الصَّدَر[8] عن الفُسطاط إلى مستقرِّه . يحضُّ على الزَّهادة ، ويحرِّض على القَناعة

---

(١) فى الأصل :
ولقد جنبت من البضائع جلها ... من كل مختار وأكرم ما انتقى
وأثبت ما فى ق والحريدة والطالع السعيد . بيد أن الكلمة الأخيرة فى الطالع السعيد : « موثق » .
(٢) ق : « ووجدت » . وكلمة « رواقه » هى فى الأصل : « ظلاله » وأثبت ما فى ق والحريدة . وفى الطالع السعيد : « تحت ردائه » تحريف .
(٣) فى الأصل : « ولعائبي » صوابه فى ق . وفى الحريدة : « ولعاتبي » .
(٤) ق : « بغير حبل الأوثق » وفى الحريدة : « بحبل غير موثق » .
(٥) فى الأصل : « رمت حظى » صوابه فى ق والحريدة .
(٦) فى الأصل : « لأصيرن اليأس » صوابه فى ق والحريدة .
(٧) فى الأصل : « وله من قصيدة غير هذه » وأثبت ما فى ق والحريدة .
(٨) ق : « الصدور » وهما صحيحان ، يقال صدر يصدر صدراً وصدوراً .

ويذمّ الضّراعة ، ويتأسّف على إذالة خدّه ، وإراقة ماء وجهه :

لَهفى لملك قنـــاعةٍ لو أنّنى متّعت فيـــه بعزّة المتملّكِ
ولكنزِ يأسٍ كنتُ قد أحرزتُه لو لم تعِثْ فيـه الخطوبُ وتفتِكِ
آليتُ أجعلُ ماء وجهى بعده كدمٍ يُهِلُّ به الحجيجُ بمَنْسِكِ
وأخٍ من الصبر الجميل قطعتُه فى طاعة الأمل الذى لم يُدرَكِ
يا قاتَلَ الله الضرورة حالةً أىَّ المسالكِ بالفتى لم تَسلكِ[1]
كم بات مشكوٌّ إليه [تحيفت حلقاته قَرعا] براحةِ ممسكِ[2]
وفمٍ على قدم رمت ، ونواظر كُحِلت محاجرُها بموطىءِ سُنبُكِ[3]
ومُسربَلٍ بالصبر والتقوى دعت فأجابها فى معرَض المتنسّكِ[4]
ظلّت تصرِّفه كتصريف العصا رأسَ البعير لمبرك عن مَبرَكِ

وله إلى رئيس كان يكلّفه زيارته ويقعد عن ذلك تعاظما وتكبراً :

أكبرتَ نفسَك أن تسعى مصادفةً وسُمتَنيه لقد كلّفتَنى شَططا[5]
لا تكذبنّ فما كنّا لنُوجِب مِن حقٍّ وأنت تراه عنك قد سقطا
لو بعتُك النفس بَيعاً كنت تملكُها به لكان عليك العَدل مشترَطا[6]
فهل سبيلٌ إلى أن لا تواصلنى ولا تكلّف مثلى هذه الخططا[7]
عسى صحيفةُ ما بينى وبينك أن تُطوَى وماضمّنتْ غيرَ الذى فرطا[8]

---

(١) هذا ما فى ق والحريدة ، وفى الأصل :
يا قاتل الله الضرورة إنهـا سلـكت مهالك بالفتى لم تسلك
(٢) فى الأصل : « لم يأت » ، وصواب البيت وتكملته من ق والحريدة .
(٣) هذا البيت ساقط من الأصل .
(٤) فى الأصل : « ومسربل بالنصر » صوابه فى ق والحريدة .
(٥) فى الأصل والحريدة : « مصارفة » بالراء ، وأثبت ما فى ق .
(٦) ق والحريدة : « به على لـكان العدل » .
(٧) فى الأصل : « ولا تكلف مثلى الطرق والخططا » صوابه فى ق والحريدة .
(٨) فى الأصل : « وما قد من أمرنا فرطاً » صوابه فى ق والحريدة .

وله[١] فى صدر رسالة :

أتَى كتابُك عن سُخط فآنَسَنى ... بما تضمَّن أُنس العين بالوسنِ[٢]
قرأتُه فجرت فى كلِّ جارحة ... منِّى معانيه جرىَ الماء فى الغُصُن[٣]
فما أقول بعثتَ الروح فيه إلى ... قلبى ولكنْ بعثتَ الروح فى بدنى

وله فى شدّةٍ أصابته :

يا مستجيبَ دعاء المستجير به ... ويا مفرِّج ليلِ الكُربة الداجى
قد أُرتِجت دوننا الأبوابُ وامتنعت ... وجَلَّ بابُك عن منعٍ وإرتاج
نخافُ عدلَك أن يجرى القضاء به ... ونرتجيك فكنْ للخائف الراجى[٤]

ومن شعرائها المشهورين أبو الطاهر بن إسماعيل بن محمد المعروف بابن مكنسة[٥]، وهو شاعر كثير التصرُّف، قليل التكلُّف، مفتَنٌّ فى وشْيِ[٦] جِدِّ القريض وهزله، وضارب بسهم فى رقيقه وجزله. وكان فى رَيعان شبيبته، وعُنفوان حداثته، يعشق غلاماً من أبناء عسكريّة المصريين، يدعى عز الدولة فائق، وهو الآن بمصر من رجال دولتها المعدودين وأكابرها المقدمين. ولم يزلْ مقيما على عِشقه له، وغرامه به إلى أن محا محاسنه الشَّعر، وغيّرَ معالمَه الدّهر. ولم يزل مُعزُّ الدولة[٧] هذا متعهِّداً له محسناً إليه، مشتملا عليه، إلى أن فرَّق الدهر بينهما. وكان فى أيام أمير الجيوش بدر الجمالى منقطعاً إلى عاملٍ من النصارى يعرف بأبى مليح،

(١) بعد هذه الكلمة فى الأصل بياض بقدر صفحتين من الأصل، وقد أمكننى سد هذه الثلمة من ق والخريدة. والقدر المشترك بين ق والخريدة ينتهى إلى كلمة «الراجى» ختام الأبيات الجيمية التالية، ثم تنفرد «ق» بإتمام النقص الذى سأنبه على نهايته.

(٢) فى الخريدة: «فأبأسنى»، تحريف صوابه فى ق والطالع السعيد. وصدره فى الطالع السعيد (٢٢٢): «وافى كتابك».

(٣) فى الطالع السعيد: «نفخت الروح».

(٤) إلى هنا ينتهى القدر المشترك من التكملة بين ق والخريدة، ثم تنفرد «ق».

(٥) ترجم له ابن شاكر فى الفوات (١ : ٢٦ :) وقال «توفى فى حدود الخمسمائة».

(٦) فى الأصل: «وعى».

(٧) سبق قريباً بلفظ «عز الدولة فائق» وهكذا وردا بالأصل.

وأكثرُ أشعاره فيه ، فلما انتقل الأمر إلى الأفضل تعرَّض لامتداحه ، فلم يقبله ولم يقبل عليه ، وكان سببَ حرمانه ما سبق لأبي مليح ومراثيه ميتاً ، لا سيما قوله :

طُوِيت سماء المكرما تِ وكُوِّرت شمسُ المديحِ
ما كان بالنكس الدنـ ـيّ من الرجال ولا الشحيح
كَفَر النصارى بعد ما عَقدوا به دين المسيح

وكَفَله عزُّ الدولة بن فائق ، وقام بحاله إلى أن مات .

ولم يُقبل الأفضلُ على أحدٍ من الشعراء كإقباله على رجل من أهلِ مَعرَّة النعمان[1] يدعى أبا الحسن على بن جعفر بن النون[2] فإنه أفاض عليه سحائبَ إحسانه ، وأدرَّ له حلوبةَ إنعامه ، ولقّبه بأمين [الملك[3]] وأدناه واستخلصه ، ولم يكن شعرُه هناك[4] بل كان متكلَّفاً متعسَّفاً ، ولست أعرف أحداً من أهل تلك البلاد يَروِي له بيتاً واحداً فما فوقَه ، لمنافرة الطِّباع كلامَه ، ونُبوِّ الأسماع عن طريقته . وقد كان أمَرَه الأفضلُ يوما أن يصِف مجلسا عُبِّيَت فيه فواكهُ ورياحين ، فقال من مزدوجته[5] يصف الأترجّ المصبَّع :

كأنّما أترُجُّه المصبَّعُ أيدى جُناةٍ من زُنودٍ تقطَعُ

فغلِط ولم يفطَن ، وأساء أدَبه ولم يشعر ؛ لأنه قصد مدحَ الأترجّ فقزَّز نفس الملك منه ، وصرفَها عنه ، ولو قصد ذمَّه لما زاد على ما وَصَف به ، من الأيدى المقطوعة من زنودها .

والبليغ الحاذقُ من إذا وصَفَ شيئا أعطاه حقَّه ، ووفَّاه شرطَه ، ووصفه بما

---

(١) إلى هنا ينتهى السقط الذى نبهت عليه فى أول الصفحة السابقة .

(٢) فى : « النوين » .

(٣) هذه من ق .

(٤) فى الأصل : « هناك بالجيد » صوابه فى ق ، وكلمة « بالجيد » مقحمة .

(٥) فى الأصل : « مزدوجات » صوابه فى ق .

يناسبه فى حالتَىْ مدحه وذمّه ، ووضع كلَّ شىء فى مكانه فى نثره ونظمه[١] .

فأين هذا الشاعر فى أدبه وحذقه بالصناعة[٢] وفطنته ، من أبى على الحسن ابن رشيق ، وقد أمره المعزّ بن باديس أن يصف أترجّة [مصبَّغة[٣]] كانت بين يديه[٤] ، فقال مرتجلاً على البديهة :

أترجّة سَبطة الأطرافِ ناعمةٌ تَلقى العيونَ بحُسنٍ غير مبخوسِ[٥]
كأنّها بَسطت كفًّا لخالقها تدعو بطول بقاء لابن باديس

ولو أنَّ ابن الرومىّ قصد مَدح الوَرد بقوله :

يا مادحَ الورد ماينفك من غَلطه أما تأمَّلتَه فى كفِّ ملتقطِه
كأنّه سُرم بغلٍ حين يُبرِزُه عند الخِراء وباقى الرَّوث فى وسطه

لكان غالطا أو جاهلا أو غافلا ، بل قال ذلك حين قصد ذمَّه وأراد تخسيسه . فانظر هذا التشبيهَ الذى لم يُسمع أعجبُ منه . فلعن الله شيطانه[٧] .

وكذلك عبد الله بن المعتز فى قوله يصف القمرَ من أبيات :

وباتَ كما سرَّ حُسّادَه إذا رام قُرباً من النوم شذّ[٨]
تفزِّزُهُ سروات البَعوضِ فى قمر مثلِ ظهر الجرذ[٩]

وقول ابن المعتز فى القمر من أبيات :

ياسارِقَ الأنوارِ من شمس الضحى يامُشكلى طيبَ الكرى ومُنَغِّصى

(١) ق : « من نثره ونظمه » .
(٢) ق : « ومعرفته بالصناعة » .
(٣) هذه من ق .
(٤) فى الأصل : « كانت فى يده » وأثبت ما فى ق .
(٥) مبخوس : منقوص . وفى الأصل « منحوس » ، صوابه فى ق .
(٦) هذا ما فى ق وفى الأصل : « من غلط » .
(٧) هذا ما فى ق . وفى الأصل : « فلعن الله ذلك » .
(٨) فى ديوان ابن المعتز (٢ : ١١٦) : « كما سر أعداءه » .
(٩) فى الأصل : « فمن قمر » صوابه من الديوان .

أمّا ضياء الشمس فيك فناقصٌ وأرى حرارة نارها لم تنقُص
لم يظفر التشبيهُ فيك بطائل متسلّخاً بَهَقاً كجلد الأبرص[1]

وهذا بابٌ لو استقصيناه لطال واتسع[2] ، فلنتركه ولنصلْ من حبلنا ما انقطع[3] .

* * *

وقال إسماعيل بن مكنسة[4] من قصيدة :

أعاذلُ ما هبّت رياحُ ملامةٍ بنار هوًى إلا وزادت تضرُّما
فكُفّي إلى عينٍ إذا جفّ ماؤها رأتْ من حقوق الحبِّ أن تذرِف الدّما
فكم عَبرةٍ أعطت غرامى زِمامَها عشيّةَ أعمانَ المطيَّ المزمَّما
وعَينٍ حماها أنْ يُلمَّ بها الكرى أحاديثُ أيام تقضّين بالحمى
ولله قلبٌ قارعته همومُه فلم يبق حَدٌّ منه إلا تثلما[5]

وله من أخرى :

دقّت مَعاقد خصرِه فكأنّها مشتقّة من عهده وتجلُّدى[6]
وتجعّدَتْ أصداغُه فكأنّها مسروقة من خَلقه المتجعِّد[7]

[ومنها[8]] :

---

(١) فى الديوان : « منك بطائل » . وفى الأصل : « بمسلخ » صوابه فى ق وفى الديوان : « متسلخ » .
(٢) هذا ما فى ق . وفى الأصل : « لو استقصيته لاتسع » .
(٣) هذا ما فى ق . وفى الأصل : « من غرضنا ما انقطع » .
(٤) ق : « أبو الطاهر بن مكنسة » ، وكلاهما صحيح .
(٥) فى الأصل : « مثلما » وأثبت ما فى ق والخريدة (٢ : ٣٠١) .
(٦) فى الأصل : « من قده » صوابه فى ق . وفى الخريدة (٢ : ٢٩٩) « من تيهه » ، وليست بشىء .
(٧) فى الأصل : « من شعره » وأثبت ما فى ق والخريدة .
(٨) هذه من ق .

ما باله يجفو وقد زَعَم الورى أنّ الندى يختصُّ بالوجه الندِى[1]
لا يخدعنّك وجنـةٌ محمرّة رقّت فنى الياقوت طبع الجلمدِ

وله من قصيدة :

وعَسكرىٍّ أبداً حيثما تلقاه يلقاكَ بكلّ السّلاحْ
حاجبُـه قوس وأجفانُه نَبلٌ وعِطفاه تثنّى الرّماح
[راح وفعلُ الراح فيه كما يفعل بالغصن نسيمُ الرياح[2]]

أغار فى هذا البيت الأخير على خالدٍ الـكاتب فى قوله :

رأتْ منه عينى منظرينِ كما رأت من الشّمس والبدر المنيرِ على الأرضِ[3]
عشيّةَ حيّـــانى بوردٍ كأنه خدودٌ أضيفَت بعضُهن إلى بعض[4]
[وناولنى كأساً كأنّ مزاجها دموعىَ لما صدّ عن مقلتى الغمض[5]]

* * *

وراحَ وفعـلُ الرّاح فى حركاته كفعل نسيم الرِّيح فى الغصن الغضِّ

وأما البيت الذى قبله[6] فقد تداولَه الشعراء . ومن مليح ما وقع فيـه قولُ بعضِ أهل العصر :

بى مِن بنى الأصفر ريمٌ رمى قلبى بسهم الحَوَر الصائب
سهمٌ من اللحظ رمتنى به من كَثَب قوسٌ من الحاجب
كأنمـا مقلته فى الحشى سيفُ علىّ بن أبى طالب

وله فى ورق كاغد أهدى إليه :

---

(١) كلمة « يجفو » ساقطة من الأصل . وإثباتها من ق والخريدة .
(٢) البيت ساقط من الأصل ، وإثباته من ق والخريدة (٢ : ٣٠١) .
(٣) فى الأصل : « كأنما هو الشمس » ، وأثبت ما فى ق والخريدة .
(٤) فى الأصل : « على بعض » ، وأثبت ما فى ق .
(٥) هذا من الخريدة فقط .
(٦) يعنى قوله :

حاجبه قوس وأجفـــانه نبل وعطفاه تثنى الرماح

أهـدى لنـــا ورقاً أرَ قَّ من الشراب المستحيلِ
خَلَقاً تمـــزقه الخطو ط كأنه عِرضُ البخيل
لا بالصَّبيغ ولا الصَّقيـ ـل ولا العريض ولا الطويل
إلاّ بياضًـــا خلتُـه وضَحاً على جسم نحيل[1]

وقد استوفى بعضُ أهل العصر هذا المعنى ، فقال يذكر رِزْمة كاغد أخرجت إليه من خِزانة السلطان ، تستعمل فى ديوان الإنشاء ، وكان بعض كتاب الديوان يسرق الـكاغد ، فسَلِمت تلك الرِّزمةُ منه لِدمامتها وخِسّة ثمنها :

وكاغدٍ يشبه حالاتِنـــا فى كلِّ معنى ويحاكيها
جُنِّس للخطِّ به صورة لا شيء فى القبح يدانيها[2]
ينفُذ فى صفحته كلُّ ما ترسُمهُ أقلامُنا فيهـــا
نُودِعهُ مكنونَ أسرارِنا وهو إلى الألحاظ يُفشيها
مختلفُ الأجزاء مستخشنٌ تلمَسهُ الـكفُّ فيُدميها
كجِلدة الأبرصِ فى لونه وصـفاً على الحق وتشبيها
لو كان خُلقاً كان مستبشَعاً أو كان خَلقاً كان تشويها
يعثِّر الأقلامَ حتَّى تُرى مفلولةً فيـــهِ مواضيها[3]
يتركها تشـــبهُ أعجازُها فى عدم البَرْى هَواديها[4]
من بعد ما ضاهَى بأطرافها أطرافَ سُمر الخطِّ باريها[5]

---

(١) هذا البيت ساقط من ق .
(٢) فى الأصل : « فيها ما يدانيها » صوابه من ق
(٣) يقال أعثره إعثاراً وعثّره تعثيراً . وفى الأصل : « يغير الأقلام » وأثبت ما فى ق .
(٤) الـكلمة الأولى ساقطة من الأصل ، كما سقطت كلمة « البرى » ونصف الـكلمة التى بعدها ، وإتمامه من ق . وفى ق : « فى قدم البرى » ، ووجهه ما أثبت من الأصل . وهواديها بمعنى أوائلها ، أى رءوسها .
(٥) ورد البيت فى الأصل مبتوراً ، منتهياً بكلمة « أطراف » وإتمامه من ق .

وتفعل الأنملُ فى جريها كالـــــبرق .... يهما[1]
وكم غدا يسلُبها جاهداً مَن كان بالنفس يفدِّيها
يقول مَن يبصر أطباقَه شَلَّت يدٌ باتت تعبِّيها
قد عَبِث السوسُ بأوساطِها وقَرَّض الفأرُ حواشيها[2]
لو عُرِضت رِزمتُهُ لم تجد مشتريًا فى الخَلْق يشريها
لو بَذَل الفَلسَ بها غالطًا أُوسِعَ تضييعًا وتسفيها[3]
لا يرزأ السارقُ منها ولا يغتالها من حيلة فيها[4]
تُحْصِى الحصى مستوفيًا عدَّه من قبل أن تُحْصِى مساويها[5]
من ذمَّ ذا نقصٍ وذا خسّةٍ فهو بذاك الذمِّ يعنيها[6]

وقال أبو الطاهر[7] :

قلتُ إذ عقربَ الدلا لُ على خده الشَّعَرْ
هـــذه آيةٌ بها ظهر الحسنُ وانتشر
ما رُئِى قبلَ صُدغه عقربٌ حلّت القمر[8]

هذا معنًى مليح ولكنّه سرقه من بيتين أنشدَنيهما بمصر رجل يسمى أبا محمد التِكريتىّ من تلاميذ أبى حامد الغزالى لأبى حامد ، ولم أسمعهما من غيره :

---

(١) كذا جاء البيت فى الأصل ، وهو ساقط من ق
(٢) فى الأصل : « بأطرافها » ، والوجه ما أثبت من ق .
(٣) تضييعا ، كذا وردت .
(٤) فى الأصل : « نعبا لها » صوابه فى ق . و « من حيلة » هى فى الأصل و ق : « فى حيلة » .
(٥) مستوفياً عده ، مكانها بياض فى الأصل ، وإثباتها من ق .
(٦) كلمة « وذا خسة » موضعها أبيض فى الأصل ، وإثباتها من ق .
(٧) هو أبو الطاهر إسماعيل بن محمد ، المعروف بابن مكنسة ، وقد سبق التنبيه على اسمه فى ص ٤٣ .
(٨) فى الخريدة (٢ : ٣٠٢) : « مارئى قط قبل ذا » .

حَلّت عقاربُ صُدغه فى خدّه قرأً فجلّ بها عن التشبيه[1]
ولقد عهـــدناه يحلُّ ببُرجها فمن العجائب كيف حلَّت فيه

وقال أبو الطاهر أيضا من قصيدة وقد عزم عليه بعضُ الأمراء فى الخروج[2] معه إلى الشام لقتال الغُزّ[3] ، أوّلها :

غير عاصٍ عليكِ تقويمُ عُودى فانقُصى من ملامتى أو فزيدى[4]
قل لمولاى إذ دعانى لأمر قمتُ فيـــه له مقامَ العبيد
ضعفَتْ حيلتى وقلّ غنَـــائى ودنت غايتى وَرَثَّ جديدى[5]
أنا مالى وللشـــآم وإنى لأرى نار حربها فى وَقود
بلدٌ جنّـــهُ عفاريةُ الغُ زِّ وأرضٌ وحوشُها من أُسود[6]
والجِفـار التى تقول إذا ما قيل هَلاّ امتلأتِ : هل من مزيد[7]
وكأنْ بى على بعـيرٍ ترانى آخرَ الناس فى لفيف الحُشود[8]
أسودَ الوجـه ناظراً فى أمور معضِلاتٍ من الحوادث سُودِ

---

(١) وكذا روى فى وفيات الأعيان ، فى ترجمة أبى حامد الغزالى . وفى الخريدة وق : « يجل به عن التشبيه » . قال ابن خلكان : « ورأيت هذين البيتين فى موضع آخر لغيره » .

(٢) ق : « فى المسير » .

(٣) فى اللسان والقاموس أن « الغز » جنس من الترك .

(٤) فى الأصل : « غير عاص » صوابه من الخريدة (٢ : ٣٠٨) . وفى ق : « عاص » يقال عسا إذا اشتد .

(٥) الغناء ، بالفتح : النفع . وفى الأصل : « عنائى » صوابه فى ق والخريدة (٢ : ٣٠٨) .

(٦) فى الأصل : « حنة » صوابها فى ق والخريدة . والعفارية بياء قبل الآخر : جمع عفرية ، وهو العفريت . وفى الأصل : « عفاربه » وفى ق والخريدة : « عفارتة » صوابهما ما أثبت . انظر اللسان (عفر ٢٦٣) .

(٧) الجفار : جمع جفرة بالضم ، وهى الحفرة الواسعة المستديرة . وفى الأصل و ق : « الذى يقول » صوابه فى الخريدة . وفى الخريدة : « قيل امتلأت هل مزيد » وفى ق : « قيل هل امتلأت » ولا يستقيم الوزن بأحدهما . والوجه ما أثبت

(٨) فى الأصل : « وكأنى على » وأثبت ما فى ق والخريدة .

وإذا قيـل فى غدٍ يلتقى النا ـس فلا تنسَ فهو بيت القصيد
حيثُ لا ناظرى تراه حديداً حينَ يبـدو له بريقُ الحديد
حيثُ لا يُتَّقى لسانى ولا يَثـ ـنى عنانَ المغير عنّى نشيدى[1]
إنّ رأيى إذا يُسـدَّد نحوى سهمُ رامٍ لغير رأىٍ سديد[2]
فإذا ما قُتِلتُ كنت خليقـاً بدخولى جهنّما وخـلودى
فأقلنى عثـارَها وابقَ للمجـ ـد وكبتِ العدى وغَيظِ الحسود[3]

وقال من قصيدة فى طريقة أبى الشَّمَقْمق[4] :

أنا الذى حَدَّثكم عنـه أبو الشّمقمقِ
وقال عنّى إننى كنتُ نديمُ المتّقى
وكنت كنت كنت كنـ ـتُ مِن رماة البُنـدق
حتّى متى ألْقَى كذا تيساً طـويلَ العنق[5]
بلحيةٍ سـابلة وشـارب محلّق[6]
[يا ليتَهـا قد خُلِقت من وجه شيخٍ حَلَقى[7]]

وقال[8] مِن أخرى :

عشتُ خمسين بل تزيـ ـدُ رقيعاً كما ترى

(١) ق : « رأس البعير عنى » ، وفى الخريدة : « زمام البعير » .
(٢) ق والخريدة : « إذا تسدد نحوى » ، يقال سدده فتسدد .
(٣) ق والخريدة : « وابق للحمد » .
(٤) ق : « أبو الرقمق » وهو شاعر آخر وليس مراداً . أما أبو الشمقمق فهو مروان بن محمد وكان معاصراً لبشار وأبى نواس . وترجمته فى « تاريخ بغداد » ٧١٢٨ وابن خلكان فى تضاعيف ترجمة يزيد بن مزيد . ولم يفرد له ترجمة . وأما أبو الرقمق فهو أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكى ، وترجم له الثعالبى فى اليتيمة (١ : ٢٣٨) وابن خلكان فى الوفيات (١ : ٤١) .
(٥) ق والخريدة : « حتى متى أبقى » .
(٦) فى اللسان : « يقال سبل سابل » . وفى الخريدة : « بلحية مسبلة » .
(٧) البيت من ق والخريدة . والحلق : الأبون ، وجاءت فى أصلها : « حلق » محرفة .
(٨) فى الأصل: « وقوله » ، صوابه فى ق .

أحسبُ المُقْـل بنـدقاً وكذا المِلحَ سكّرا[1]
وأظنُّ الطويل من كل شيء مدوّرا
قد كبِر بِر بِبِز بِبِر تُ وعقـلى إلى ورا
عجباً كيفَ كلُّ شى ء أراه تَغـــــيَّرا
لا أرى البَيض صار يؤ كل إلاّ مقشَّرا
وإذا دقَّ بالحجا ر زجاجٌ تكسرا
وإذا مات ميّت لا يشمَّنّ عنبرا[2]

* * *

ومن شـعراء المصريين فى زماننا هذا من يقول — وهو أبو مشرف الدجرجاوى[3] ، وهو منسوب إلى دجرجا ، وهى ضيعة[4] بالصعيد الأعلى :

قاضٍ إذا انفصل الخصمان ردَّهما إلى الخِصام بحكمٍ غيرِ منفصلِ
يبدِى الزّهادةَ فى الدنيا وزُخرفِها جَهراً ويقبل سراً بَعرَةَ الجمـل

ومنهم من يقول ، وهو أبو الحسن علىّ بن البرقى ، من أهل قُوص :

رمانى الدهرُ منه بكلِّ سهمٍ وفاجأنى ببينٍ بعـدَ بين[5]
وجمَّع فى فؤادى كلَّ حزنٍ وفرَّق بين أحبابى وبينى
ففى قلبى حرارةُ كلِّ قلب وفى عينى مدامعُ كلِّ عين

وله من أبيات :

ولى سَنَةٌ لم أدر ما سِنَةُ الكرى كأنَّ جفونى مسمعى والكرى العذلُ[6]

(١) المقل : ثمر الدوم . وفى الأصل : « البقل » ، وفى ق والخريدة : « المصل » والوجه ما أثبت . وفى الأصل : « سكرا . وأحسب الملح سكرا » ، صوابه فى ق والخريدة .
(٢) البيت ساقط من ق والخريدة . وفى الأصل : « لا يسمن » تحريف .
(٣) قال ياقوت ، عند الكلام على دجرجا : « قد خرج منها شاعر متأخر يعرفه المصريون يقال له (أبو) المشرف . وله شعر جيد » وفى الأصل : « الدجرجراى » صوابه فى ق والخريدة .
(٤) فى الأصل : « إلى ضيعته دجرجرا وهى » صوابه فى ق .
(٥) فى ق ركب صدر هذا البيت على عجز تاليه فصارا بيتاً واحداً . وكذا جاء فى الطالع السعيد للأدفوى ٢١٩ .
(٦) فى الأصل : « وبين جفونى » صوابه فى ق والخريدة والطالع السعيد . والكلمة الأخيرة من البيت ساقطة من الأصل وإثباتها من النسخ الثلاث .

ومنهم من يقول ، وهو أبو محمد عبد الله بن الطباخ الكاتب ، يهجو رجلاً أوقصَ . أنشدتُهما لأبى الحسن [على بن[1]] الصوفى الحنبلى[2] :

قَصُرت أخادعُه وغاض قذالُه فكأنه متوقِّع أن يُصفَعا[3]

وكأنه قد ذاق أوّل دِرّة وأحسّ ثانية لها فتجمَّعا

ومنهم من يقول ، وهو أبو عبد الله محمد بن مسلم الكاتب :

تعسَّفها الحادى وقد هَجَر الفلا ومرَّ عليها الخمسُ يتبعه العِشْر[4]

وأنحلها لفحُ الهجير كأنّه هوًى وهو قلبٌ قد أضرَّ به الهجر

ومنهم من يقول ، ولا أتحقّق اسمه ، فى رجلٍ يلقب بالرشيد[5] :

شتّان ما بين الرشيدِ وبين هارونَ الرشيد

هذا يعزَّر بالجلو د وذا يعزَّز بالجنود[6]

ومنهم من يقول ، وهو محمود بن ناصر الإسكندرى[7] كاتب القاضى ابن حديد ، فى طبيبٍ أعلمَ مشوّه الخلق :

صديقنا المستطِبُّ نادرةٌ قد أخذت منه أعينُ الناس[8]

أنيابُ غول ومِشفرا جملٍ ورأسُ بغل وذَقن نَسناس

ومنهم من يقول ، وهو أبو نصر ظافر بن قاسم المعروف بالحداد[9] من أهل الإسكندرية ، وكتب إلىّ بها فى رسالة :

---

(١) هذه من ق .
(٢) ق : « الجبلى » .
(٣) فى الأصل : « وغاب قذاله » ، وأثبت ما فى ق .
(٤) فى الأصل : تمشقها » ، صوابه ما فى ق .
(٥) فى الأصل : « يسمى هارون الرشيد » وأثبت ما فى ق .
(٦) التعزير : ضرب للتأديب دون الحد . وهذا هو الوضع الصحيح للبيت كما فى الأصل . وجاء على العكس فى ق وليس بشىء :

هذا يعزز بالجنو د وذا يعزر بالجلود

(٧) ق : « الإسكندرانى » .
(٨) فى الأصل : « قد أخذتها من أعين الناس » صوابه فى ق والخريدة .
(٩) ترجم له ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » وياقوت فى « إرشاد الأريب » وذكرا أنه توفى سنة ٥٣٩ .

وما طائرٌ قصَّ الزمانُ جَناحَه فأعدَمَه وكراً وأفقَدَه إلفا
تذَكَّر زُغباً بين أفنانِ أيكةٍ خوافى الخوافى ما يَطرن بها ضعفا
إذا التحف الظّلماء ناجى همومَه بترجيع لحنٍ كاد من رِقّة يخفى[1]
بأشوقَ منى إذْ أطاعت بكَ النوى هوائيةٌ مائية تسبِق الطرفا
تولّت وفيها منك ما لو أقِيسُه بما هى فيه كان فى فضله أوفى[2]

وقال أيضاً :

رَحَلوا فَلولا أنَّنى أرجو اللِّقا لقضَيتُ نحبى[3]
واللهِ ما فارقتُكم لكنَّنى فارقتُ قلبى[4]

ومنهم من يقول ، وهو أبو القاسم بن رشد[5] المصرى :

وكم قائلٍ لىَ سافِرْ إلى بلادِ العراق تَقَعْ فى الرّخاء[6]
لعمرى لقد صدقوا قد وقعـ تُ وسط الرخاء بتقديم خاء

ومنهم من يقول — وهو الناجى المصرى — يهجو حمّاما :

إنَّ حمامَنا الذى نحنُ فيه هو فى حاجةٍ إلى حَمّامِ
قد دَخلنا ونحن أولاد سامٍ وخرجنا ونحن أولاد حامِ

وقال بعضُ أهل العصر فى هذا المعنى :

حمّامنا هذا أشدُّ ضرورةً ممن يحلُّ به إلى حمّامِ
تبيضُّ ألوان الورى فى غيرِه ويُعيرها هذا ثيابَ سُخام
قد كنتُ من سامٍ فحين دخلته لشَقاء جَدِّى ردَّنى من حام[7]

ومنهم من يقول ، وهو أبو الحسن مروان بن عثمان :

تمكَّنَ منى السُّقم حتّى كأننى توهَّم معنًى فى خفىِّ سؤالِ

(١) ق : « من دقة » . (٢) ق : « كان فى وصفه وفى »
(٣) ق : « أرجو الإياب قضيت نحبى » . (٤) ق : « والله ما فارقتهم » .
(٥) فى الأصل : « بن زبيد » وأثبت ما فى ق .
(٦) ق : « الرخا » بالقصر ، وكذا « خا » بالقصر فى البيت التالى .
(٧) فى الأصل « دخلتها » صوابه فى ق والخريدة (٢ : ٣٠٥) .

[ولو سامحت عيناه عينيَّ فى الكرى لأشكلَ من طيف الخيال خيالى[1]]
سمحتُ بروحى وهى عندى عزيزةٌ وجُدت بقلبى وهو عندىَ غالى
وقد خفتُ أن تقضى علىّ منيَّتى ولم أقضِ أوطارى بيوم وصال[2]
وهوّنَ ما ألقى من الوَجد أنّه صدودُ دلالٍ لا صدودُ مَلال
فلو كان ذاك الصدُّ منه ملالةً شددت عن الدنيا مطىَّ رحالى[3]

هذا من قول العباس بن الأحنف :

لو كنتِ عاتبةً لسكّنَ لوعتى أملى رضاك وزرتُ غير[4] [مراقب
لكن صددتِ فلم تكنْ لىَ حيلة صدُّ المَلول خلاف صَدّ العاتب

ولمروان :

ما بالِ قلبك يستكينُ أبه غرام أم جنونُ[5]
برَحَ الخفاء بما تُجِـ ـنُّ ، فأذهب الشكَّ اليقين
حتَّى متى بين الجوا نح والضلوع هوًى دفين
وإلى متى قلبُ المتـ ـيم فى يد البلوى رهين
يا ماطلى بديونِ قلـ ـبى آنَ أن تُقضَى الديون
شخَصْت له فيك العيو نُ وقسِّمت فيك الظنون
وسلبتَ ألبابَ الورى بلواحظٍ فيها فتُون
وقَوامِ أغصـــان الريا ض وأين تدركُك الغصون
الحسنُ فى الأغصان فـــنٌّ وهو فى هـذا فنون

---

(١) البيت من الخريدة (٢ : ٢٠٣) .
(٢) فى الأصل : « منية » وأثبت ما فى ق والخريدة .
(٣) هذا البيت ساقط من ق .
(٤) بعد هـذا بياض فى الأصل بقدر نحو صفحتين ، وقد أكملته من ق والخريدة (٢ : ٢٠٤) ، والقدر المشترك بينهما فى التكملة هو السطر الأخير فقط مما وضع بين معكفين ، وأما سائر التكملة فهو من الخريدة فقط .
(٥) يجوز فى رويه الإسكان والتحريك .

من أين للأغصان ذا ك الغُنْجُ والسحر المبين
أم ذلك الورد الجنـ ـيّ بخـدّه والياسمين

ومنهم من يقول ، وهو أبو إسحق إبرهيم بن الأشعث] :

إذا حلَّ محمودٌ بأرضٍ فإنه يفجِّر فيها من نَدَى كفِّه عينا(١)
فتُنبت نوراً مشبهًا لِهباتِه يُرى وَرَقًا بعض وبعض يُرَى عينا(٢)

وله فى غلامٍ مليح أسمر :

يا ذا الذى يُنفـق أموالَه فى حبِّ هـذا الرشأ الفائق(٣)
ما الذهب الصامتُ مستكثراً إذهابُه فى الذَّهب الناطق(٤)

ومنهم من يقول فى معشوقٍ له تمتام ، وهو محمود بن إسماعيل بن حميد الدِّمياطي :

تمتمةٌ تمَّ غرامى بهـا وعارضٌ عرَّضنـى للسَّقام
ووَفرةٌ همِّى بها وافـر وحاجبٌ حجَّب عنِّى المنام(١)

وله من أبيات يصف الخمر :

وبتُّ ليلي أرى النار التى سجدت لها المجوسُ من الإبريق تسجد لى

هذا — أطال الله بقاء الحضرة السامية — ما أملاه الخَلَد ، على اليد ، فى مدة متقاربة الطرفين ، ضيقة ما بين الحاشيتين . فإن تراخت المدة استدركت الفائت(٢) واستلحقت الناقص ، إن شاء الله تعالى .

نجزت يوم الثلاثاء تاسع عشر ذى القعدة عام ١٠٩١ بأدرنة .

---

(١) فى الأصل : « غيثاً » صوابه فى ق والخريدة . والعين فى هذا : الينبوع الجارى .
(٢) فى الأصل : « غيثاً » صوابه فى ق والخريدة . والورق : الفضة ، تقال بفتح الراء وكسرها ، وفتح الراء هنا أوفق للصناعة . والعين فى هذا البيت بمعنى الذهب . وفى ق والخريدة : « يرى ورقا بعضاً وبعضاً يرى » وتمرأ : « يرى » بهذه الرواية على أنها مضارع أرى .
(٣) ق : « الأسمر الفائق » .
(٤) فى الخريدة : « مستنكراً » ، وفى الأصل : « ذهابه » وأثبت ما فى ق والخريدة : (٢ : ٢٠٥) .
(٥) فى الأصل : « اللام » صوابه فى ق . (٦) فى الأصل : « الفائق » صوابه فى ق .

كتاب المُرِدفات من قريش

لأبي الحسن علي بن محمد المدائني

١٣٥ — ٢٢٥

رواية أبي الحسن علي بن محمد بن عبيد الكوفي، عن أبي القاسم عبد الله بن محمد، عن أبي جعفر أحمد بن الحارث، عن المدائني

مقـــدمة

هذه الرسالة القيِّمة الطريفة فى موضوعها — وهو موضوعٌ حيوى اجتماعى فيه الإفصاح عن كثير من غوامض الحياة الاجتماعية فى الصدر الأول من الإسلام — صنعها راويةٌ جليل من رواة الأخبار ، يعدُّ فى الصدر من رجالات التأليف فى العصر العباسى ، هو أبو الحسن المدائنى على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف .

وأبو الحسن هذا بصرى سكن المدائن ، ثم انتقل عنها إلى بغداد فلم يزل بها حتى وافاه الأجل . وكان مولًى لعبد الرحمن بن سَمُرة القرشى ، وهذا يكشِف لنا القناع عن سرِّ تأليفه لهذه الرسالة يتناول فيها أخبارَ النساء المرِدفات من قريش .

وكان أبو الحسن ميّالا إلى التأليف فى أخبار العرب وأنسابهم وأيامهم ، عالمًا بالفتوح والمغازى ، وكان لما أنعم الله به عليه من عمر مديدٍ جاوز التسعين ، أثرٌ عظيم فى ضخامة مكتبته التى أخرجها للناس ، وتناولها ابنُ النديم فى الفهرست بالسرد ، فأربت على (مائتين وأربعين مصنفاً) يلمح القارئ فى عنواناتها جلالَ علم هذا الرجل ، واتساعَ معارفه ، وتبحُّرَه فى فنون التأليف والرواية .

ولد أبو الحسن سنة ١٣٥ وترعرع فى كنف مولاه عبد الرحمن بن سمرة القرشى ، وعندما انتقل إلى بغداد وصَلَ حبلَه بإسحاق بن إبراهيم الموصلى فكان لا يفارق منزلَه . ومما هو جدير بالذكر أن أبا الحسن أغمض إغماضته الأخيرة فى منزل صاحبه إسحاق الموصلى فى سنة ٢٢٥ ، وكان إسحاق يبر أبا الحسن براً ظاهراً ، ويروى أن يحيى بن معين سأله مرة وقد جاز عليه وهو على حمار فاره : إلى أين يا أبا الحسن ؟ فقال : إلى هذا الكريم الذى يملأ كمى من أعلاه إلى أسفله دنانير ودراهمَ . يعنى إسحاق الموصلى .

هذه المكتبة المدائنية التى ابتلعتها أحداث التاريخ فيما طوت من كنوز

الثقافة العربية ، يقف الباحثُ من بعدها موقف الحسرة والأسى ، وهو إنما يستروح بشيء من العزاء حينما يلمح بعض هذه الآثار فى مقتبسات المؤلفين الذين رووا من تلك الكتب أطرافاً ، وفى طليعتهم أبو الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى . واليوم نظفر بعزاء جديد حين ننشر على هذا الملأ من المتأدبين والعلماء قطرة من نبع آثار المدائنى ، هى تلك الرسالة التى تزدان بها المكتبة التيمورية التى حفظ فيها المغفور له العلاّمة أحمد تيمور باشا كثيراً من نفائس الإنتاج العربى ، وهى فى صحبة مجموعة تشتمل على ١١ رسالة رقمها ٨٠ مجاميع ، وعليها خط المغفور له الشيخ طاهر الجزائرى . وقد جعل عنوان هذه الرسالة : « رسالة المتزوجات من قريش » .

وهذا العنوان موضع نظر ، فإن «المتزوجات» من قريش لا يحصيهنّ العدّ ، وليس يخطر ببال مصنف أن يضع فى ذلك كتابا ، فإن الزواج أمر عام جدًّا ليس له طابَع من الغرابة يسترعى النظر والاهتمام ، فهذه الكلمة محرفة لا ريب . وحين ننظر إلى موضوع الكتاب نجد أنه يتناول النساء القرشيات اللاتى أردفن زوجا بعد زوج ولم يكتفين بزوج واحد ، لظروف متباينة ساقتهن إلى ذلك أو ساقت ذلك إليهن .

ثم نعود بعد ذلك إلى ثَبَت كتب المدائنى فنجد بين كتب مناكح الأشراف وأخبار النساء « كتاب المردفات من قريش » ، فكلمة « المردفات » التى يراد بها اللاتى أردفن زوجا بعد زوج ، هى الكلمة التى تصحح كلمة « المتزوجات » وهى الكلمة التى تنطبق على موضوع الكتاب أتمّ الانطباق .

وتبدأ سلسلة رواية هذه النسخة بأبى الحسن على بن محمد بن عبيد الكوفى صاحب ثعلب المولود سنة ٢٥٤ والمتوفى سنة ٣٤٨ ، وتنتهى بتلميذ المدائنى وراويته أحمد بن الحارث بنّ المبارك الخزاز المتوفى سنة ٢٥٧ . وهذه هى الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد قال : أنبأنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز ، قال أنبأنا أبو الحسن المدائنى علىُّ بن محمد ، قال :

١ — تزوّج أُمَّ كلثوم بنت على بن أبى طالب عليهما السلام ، عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، وقُتِل عنها فخطبها سعيدُ بن العاص فقالت : إن مثلى لا تزوّج نفسى ، فائت أهلى . فأتى الحسنَ بن على عليهما السلام فخطبها فقار به . فبعث إليها سعيدٌ بمائة ألف ، وكلم الحسنُ الحسينَ فأبى . وقد كان الحسن وعد سعيداً وعداً ، فأتاه سعيدٌ وحده فقال : أين أبو عبد الله ؟ قال الحسن : لم يحضرْ ولن يخالفنى إذا فعلت . فقال سعيد : إنى أكره أن أدخل بينكم بشىء تكرهونه . فرجع ولم يرجع فى المال ولم يطلبه . ثم تزوّجها عونُ بن جعفر ، ثم تزوّجها محمد بن جعفر . وقد ولدت لعمرَ زيداً ورقيّة ، فتزوج رقيّة إبرهيم بن نعيم النَّحّام[1] ، وماتت هى وابنها زيد فى يوم واحد .

٢ — حدثنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال :

أُمُّ كلثوم بنت عقبة بن أبى مُعيط تزوّجها زيد بن حارثة ، ثم خَلَف عليها الزبير بن العوّام فحملت . وكان الزبير شديداً على النساء ، فأقام عندها سبعة أيام فولدت له ابنة ، وقالت له حين ضربها المَخَاض : طيِّبْ نفسى بتطليقة . فطلّقها وخرج إلى الصلاة ، فلحقه رجلٌ فقال : قد ولدت أُمُّ كلثوم . فقال : خدعَتْنى خدَعَها الله ! ولم يكن له عليها رَجعة . وخطبها فأبت أن تزوّجه . ويقال : أتى النبى عليه الصلاة والسلام فأخبره فقال : قد مضى فيه القرآن ، ولكن إن شئت خطبتها إلى نفسها . قال : لا ترجع إلىَّ أبداً .

وابنتها من الزبير زينب . ثم تزوّجها عبد الرحمن بن عوف بعد زيد ثم

(١) انظر خبر زواج إبراهيم بن نعيم النحام فى الأغانى (٤ : ١٤٦) والمعارف ص ٨٠ .

الزبير . فولدت لعبد الرحمن محمداً و إبراهيم وحميداً و إسماعيل ، ثم تزوّجها عمرو ابن العاص فأخرجها معه إلى مصر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجها معه فى بعض مغازيه تُداوى الجرحى وضَرَب لها بسهم ، فقالت يوما لخبّاز عمرو[1] : لاتهيِّئ له اليوم طعاما فإنى قد هيأت له غَداءه . ودعا عمرو بالغداء ، فقال الخبّاز : أرسلت إلىّ أُمُّ كلثوم : لا تكلّفْ شيئا فقد هيأت له غداءه . قال : فغدّنا . فتغدّى ، فلما فرغوا وخرج مَن حضر قال لأم كلثوم : لا تعودى فإنى لم أتزوّجك لتطعمينى ، و إنما تزوّجتُك لأطعمك . فماتت عنده .

٣ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : كانت هندُ بنت عتبةَ بن ربيعة أُمُّ معاوية ، عند الفاكه بن المغيرة ، فقتل عنها بالغُمَيصاء[2] فى الجاهلية ، ثم خَلف عليها حفصُ بن المغيرة ، فمات عنها ، فتزوجها أبو سفيان بن حرب .

٤ — عاتكة ابنة زيد بن عمرو بن نُفيل ، أنبأنا أبو الحسن عن جويريةَ ابن أسماء وعامر بن حفص قالا :

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل ، أمها ميمونة بنت الحضرمى بن الصعبة[3] كانت عند عبدالله بن أبى بكر بن أبى قحافة فأحبها ، فكان ربَّما ترك الصلاة جماعة ، فأمره أبو بكر رضى الله عنه بطلاقها وقال : قد فتَنَتك عن دينك ، وشغَلتْك عن معيشتك . فطلِّقْها . فطلّقها ، وقال :

ولم أر مِثلى طلَّقَ اليومَ مثلَها ولا مثلَها فى غير جُرْمٍ تُطَلَّقُ
لها خُلُقٌ سَمْحٌ ورأىٌ ومَنصِبٌ وخَلْقٌ سَوِىٌّ فى الحياء ومَصْدَقُ[4]

(١) يطلق الخباز على من كان يشرف على إعداد الطعام وطهيه . انظر التحقيق فى حواشى الحيوان (٥ : ٤٥٧) .

(٢) الغميصاء : موضع فى البادية بالقرب من مكة .

(٣) فى الإصابة ٦٩٥ من قسم النساء ، أن أمها أم كريز بنت عبد الله بن عماد بن مالك الحضرمية .

(٤) المصدق : الصدق . وفى الأصل : « فى الحياة » ، وفى الأغانى (١٦ : ١٢٨) « فى حياء » .

أعاتكُ لا أنساكِ ما هبّت الصَّبا وما ناح قُمْرِئُ الحمامِ المطوّقُ
أعاتكَ لا أنساكِ ما حجَّ راكبٌ وما لاح نجمٌ فى السماء محلِّقُ
أعاتكُ قلبى كلَّ يومٍ ولَيلةٍ إليكِ بما تُخفى النّفوسُ معلَّقُ
ولولا اتّقاء اللهِ فى حقِّ والدٍ وطاعَتُه ما كان منّا التفرّقُ

فبلغ أبا بكر شعرُه فأمره فراجعها ، وكانت عنده حتى مات شهيداً ، أصابه سهم فى حصار الطائف فانتقض به جُرحه فمات ، فقال لعاتكة حين احتُضِر : لك حديقة من مالى ولا تزوّجى . ففعلت ذلك . وقال حين راجعها :

أعاتكُ قد طلّقت عنى بغُصَّةٍ وراجَعْت للأمر الذى هو كائنُ[1]
كذلكِ أمرُ اللهِ غادٍ ورائحٌ على النّاس فيه ألفةٌ وتباينُ
وقد كان قلبى للتفرُّق طائراً وقلبى لما قد قرَّب اللهُ ساكنُ
أعاتكُ إنّى لا أرى فيك سَقْطةً وإنك قد حلَّت عليك المحاسنُ[2]
وإنّك ممن زيّن اللهُ أمْرَهُ وليس لما قد زيَّن اللهُ شائنُ[3]

فمات عبد الله وترك سبعة دنانير ، فقال أبو بكر : إنا لله ، كيف يصبِرُ ابنى على سبع كَيّاتٍ[4] . فلما مات عبد الله قالت عاتكة :

فجعتُ بخير النّاس بعد نبيِّهم وبعد أبى بكر وما كان قصَّرا
فآليتُ لا تنفكُ عينى سخينةً عليكَ ولا ينفكُّ جلدِىَ أغبرَا
مَدَى الدهر ما غنّت حمامةُ أيكةٍ وما طرَدَ الليلُ الصَّباحَ المنوِّرا
فللّه عينا مَن رأى مثلَه فتًى أكرَّ وأحمَى فى الجهاد وأصبرا
إذا شرَعتْ فيه الأسنّةُ خاضَها إلى الموت حتّى يترك الرُّمحَ أحمرا

(١) فى الأغانى : « فى غير ريبة * وروجعت » .
(٢) فى الأغانى : « سخطة * وإنك قد تمت » .
(٣) فى الأغانى : « وجهه * وليس لوجه زانه الله » .
(٤) يعنى بذلك جزاءه على ما اكتنز من الدنانير . (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم) .

فخطبها عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه فقالت : إنّى قد جعلت على نفسى مالا أقدر [معه] على التزويج . فقال : استفتى ابن أبى طالب رضى الله عنه . فاستفتته فقال : ردّى عليهم ما أخذْتِه منهم وتزوّجى . فردّت الحديقة ، فتزوّجها عمر رضى الله عنه ، فلما دخل بها أوْلَم ، فدنا على رضى الله عنه من خِدرها وقال :

فآليتُ لا تنفكُّ عينى سخينةً عليكَ ولا ينفكُّ جلدِىَ أغبرا !

فبكت ، فقال عمر : ما أردتَ إلا أن تُفسِد علينا أهلنا[1] . ويقال قال هذه المقالةَ لها عبد الرحمن بن أبى بكر . فلما قتل عمر قالت :

فَجّعنى فيروزُ لا دَرَّ درُّهُ بأبيضَ تالٍ للقُـرَانِ مُنيبِ
رؤوفٍ على الأدنى غليظٍ على العدى أخى ثقـةٍ فى النّائباتِ نجيبِ
متى ما يقُلْ لا يُكْذِب القولَ فِعْلُه سريعٍ إلى الخيرات غيرِ قَطُوب

وقالت :

عينُ جُودِى بعـبرةٍ ونحيبِ لا تملّى على الإمام النّجيب
فجّعتْنى المنونُ بالفارس المُقْـ ـدِم يومَ الهياج والتذييب[2]
عِصمةِ النّاس والمعين على الدّهـ ـر وغيثِ المنتـاب والمحروبِ
قل لأهل الضّرّاء والبأس مُوتُوا قد سقَتْه المنونُ كأسَ شَعُوبِ

فخطبها طلحة بن عُبيد الله ، فمشى فى أمرها هَبّار بن الأسود فأفسد عليه ، فتزوجها الزبير بن العوام ، فنهاها عن الخروج إلى المسجد فقالت : أتنهانى عن الخروج إلى الصلاة وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله » . فأعرض عن ذلك أياماً ثم قعد لها فى طريقها ليلاً ، فلما مرّت به ضرب عجيزتها بيده — وكانت عظيمةَ العجيزة جميلة — فرجعتْ إلى بيتها واسترجعت وقالت : سوأة ، إنا لله . وتركت الخروج ، فقال لها الزبير : مالكِ تركت

(١) فى الأصل : « أهلها » .
(٢) التذييب : إكثار الذب والدفع . وفى الأغانى . « التلبيب » .

الصلاة فى المسجد ؟ قالت : قد فسد الناسُ أبا عبد الله ! فقتل عنها فقالت :

غدرَ ابنُ جُرموزٍ بفارس بُهمَةٍ يوم اللِّقاء وكان غير معرَّد
يا عمرُو لو نبّهتَه لو جـــدْتَه لا طائشاً رَعِشَ الجَنان ولا اليدِ
شلّتْ يمينُك إن قتلت لمسلماً حَلَّت عليك عقوبةُ المتعمِّدِ[1]
كم غمرةٍ قد خاضَها لم ينهه عنها طرادُك يا ابن فَقْع القَرْدَدِ

ثم خطبها على بن أبى طالب رضى عنه فقالت : إنِّى أشفق عليك من القتل ، لم أتزوّج رجلا إلا قتل . فتزوّجها محمد بن أبى بكر فخرجت معه إلى مصر فقُتل ومُثِّل به ، فقالت :

إن تقتـــلوا أو تَمْثُلوا بمحمّد فما كان من شأنِ النِّساء ولا الخمرِ[2]

فتزوجها عمرو بن العاص .

أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن ، عن أبى مقرر ، عن محمد بن عمرو ، أن ابن أمية بن خلف[3] رأى رؤيا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافة أبى بكر فقصها فقال : رأيت أن هذا الرجل قد هلك ، وأنت مكانه ، فبعْتَ إلى هذه المرأة فتزوجتها — يعنى عاتكة بنت زيد — فدخلتُ عليك وأنت عروس وعلى باب بيتك ستر . فقال عمر : بل يبقى الله خليفة رسول الله . فلما توفى أبو بكر أرسلَ إليها فخطبها .

٥ — سكينة ابنة الحسين عليه السلام ، أمها الرباب بنت امرئ القيس الكلبية[4] تزوجها عبد الله بن الحسن وهو أبو عُذرتها ، فمات — ويقال قتل مع الحسين — فتزوّجها مصعب بن الزبير فولدت له ابنةً ، فأرسل إليها : سمِّيها زَبراء

(١) انظر خزانة الأدب (٤ : ٣٤٨ — ٣٥٢) فى الكلام على هذا البيت .
(٢) يقال مثل به يمثل مثلا ، مثلو قتل يقتل قتلا : ومثل به تمثيلا ، إذا نكل به .
(٣) هو ربيعة بن أمية بن خلف ، كما فى طبقات ابن سعد ٨ : ١٩٤ . وانظر خبر ربيعة هذا فى الأغانى ١٣ : ١٠٧ .
(٤) انظر خبر تزويج الرباب للحسين بن على فى الإصابة ٤٨٤ ، قسم النساء .

قالت : أسمّيها باسم إحدى أمهاتى . فسمّتها خديجة أو فاطمة . فماتت ابنتها من مصعب وهى صغيرة ، فحملها مُصعبٌ إلى العراق فقتل عنها .

وقال ابن قيس الرقيّات حين تزوّج مصعبٌ سكينة — ويقال قالها الحارث ابن خالد المخزومى حين خرج مصعب بعائشة بنت طلحة :

رحل الأميرُ بأحسن الخلق وغدا بلبّكَ مطلعَ الشَّرْقِ[1]
وبدَتْ لنا من تحت كِلّتها كالشّمس أو كغمامة البَرْقِ
وتَنُو فتُثْقلها عجيزتُها مَشْىَ النّزيف ينوء بالوَسْقِ[2]
فظلِلْت كالمقمورِ خُلعتَه هذا الجنونُ وليسَ بالعِشْقِ[3]
ما صبّحتْ زوجاً بغُرّتها إلا غَدَا بكواكب الطَّلْقِ

وتروى هذه الأبيات لرجل من ثقيف قالها فى امرأةٍ من ثقيف .

وخطب سُكينةَ عبد الملك بن مروان فقالت أمها : والله لا أزوجها منه أبداً وقد قتل ابنَ أختى — تعنى مصعباً[4] — فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام — وأم عبد الله بن عثمان رملةُ ابنة الزبير بن العوّام — فولدت له سكينةُ ابناً يقال له قُرّين ، وحكيما ، وابنة ويقال ابنتين . فماتت عنها فتزوّجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ، فأصدقها صداقا كثيراً ، فقال

(١) فى الأصل : « بليل » صوابه من ديوان ابن قيس الرقيات ١٠١ . وفى الأغانى (٣ : ١٠٣) : « وغدوا بلبك » .

(٢) الديوان ١٠٣ : « نهض الضعيف » . الوسق ، ستون صاعا ، أو حمل بعير .

(٣) الخلعة ، بضم الخاء وكسرها : خيار المال ، لأنه يخلع قلب الناظر إليه . وفى الأغانى « مهجته » .

(٤) هو مصعب بن الزبير ، وكان عبد الملك قد سار إلى العراق ، فالتقى مع مصعب بمسكن ، من أرض العراق ، فقتل مصعب سنة ٧٢ . وفى ذلك يقول عبيد الله بن قيس الرقيات :

إن الرزية يوم مسـ ـكن والمصيبة والفجيعه
بابن الحـوارى الذى لم يعده يوم الوقيعـه

عبد الملك : إنا تزوجنا أحسابنا فلِمَ نغرقُ فى الصداق ، طلِّقها . فطلقها ، فقال أيمن بن خُريم :

نكحت سُكينةُ فى الحساب ثلاثةً فإذا دخلتَ بها فأنتَ الرابعُ
إنَّ البقيـــــعَ إذا تتابعَ زرعُه خابَ البقيعُ وخابَ فيه الزارعُ[1]

فتزوّجها زيد بن عمرو بن عثمان — وأمه أم ولد — فأصدقها صداقاً كثيراً ، واشترطتْ عليه أن لا يعصى لها أمراً ولا يُغيِّرَها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، ولا يمنع أحداً يدخل عليها ، وأن يقيمها حيث خلّتْها أمُّ منظور[2] . فتزوّجها على هـذه الشروط ، فقال له سليمان بن عبد الملك : يا زيدَ بنَ عمرو ، إنك شرطت لسكينة أن لا تطأ جارية ، وعندك أمثالُ الملها وأنا أعلم أنك لا تصبر وأنك قد وطئت بعضهن ، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع أن تفىَ بها ، وقد حرمت عليك سكينة . فطلّقها زيد فتزوّجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فأبى أهلها أن يرضَوا ، فخاصموه وتحاكموا إلى إبراهيم بن هشام ، فقال له : انطلقْ فادخل على أهلك ، فإن حالَ بينك وبينها أحد فامنعه . وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف شرساً كثير الشرّ ، فجاء فى رجال من بنى زُهرة ، فأعانه قوم من قريش ، وجاء بنو هاشم وبنو أميّة ، وأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان مواليَه وغلمانه فى السلاح ، فقيل للوالى : إن لم تمنعهم تقاتلوا . فأرسل فردّ الفريقين ، وكتب إلى هشام فكتب إليه هشام : خيِّروها ، فإن اختارته فاحملها إليه . فاختارت نفسها ، وأتى الخبرُ إبراهيمَ فأتاها فقال : أنا خيرُ الناس لكِ . قالت : ما تقول ، يا بأبى ؟! فعلم أنها تهزأ به ، فانصرف فخيروها فاختارت نفسها ، فجاء علىُّ بن حسين بن حسين عليهم السلام فحملها .

وكانت سكينة تقول لزوجها زيد بن عمرو بن عثمان : اخرج إلى مكة وأخرج

(١) البقيع : الأرض الواسعة ، ولا تسمى بقيعاً إلا وفيها شجر .
(٢) فى الأصل : «أن يقفها حيث جلتها أم منظور» ، صوابه من الأغانى (١٤ : ١٦٣) .

معك أشعب . فيُخرجه ويخرجُ من أرادت ، فإذا قضوا حجهم ورجعوا فكانوا فى نصف الطريق قالت : يا ابنَ عثمان ، ارجع إلى مكة . فيقول : نعم . فإذا صَرفوا الإبل إلى مكة قال لها : يا سكينة ما أستطيع أن أخالفك وقد انصرف الناس ، فإن رأيتِ أن تمضى معهم . فتقول : نعم . فتمضى معهم يومهم ذلك ، ثم تقول : يا ابن عثمان ، ارجعْ ! فيقول : نعم . فتفعل ذلك مراراً ، ومع هذا مواتاةٌ منها وقرّةُ عينٍ وشفقةٌ ونصيحة ، وإنما كان ذلك كله منها مزاحاً لتسرَّه ثم ترجع إلى مايريد . فعتب عليها يوما فى بعض الأمر فصارمها وخرج إلى قصر له فى ماله . قال أشعبُ : فدعتنى ليلة بعد العِشاء فقالت : ويلك ، هل لك أن تأتىَ ابن عثمان فتعلم لى علمَهُ أيّةً خرج وأخذ . قلتُ : لا أستطيع أن أذهب هذه الساعة . قالت : فإنى أعطيك ثلاثين ديناراً . قلت : ادفعيها إلىّ . فأعطتنى ثم مضيتُ فانتهيتُ إلى القصر بعد ما هزيعٍ من الليل ، وليس على باب القصر أحد ، فدخلت الدار فإذا هو بين يديه مصباح ، قد نزل عن فرُشه وهو ينكتُ فى الأرض ، فسمع حِسّى أو رأى خيالى فقال : إن فى الدار إنساناً فانظروا من هو . فجاؤونى فرأوْنى فقالوا : شعيب[1] . فدعا بى فقال : ويلك يا شعيب ما قصتُك ؟ قلت : أرسلتنى سُكينة . قال : ولم ؟ قلت : ذكرتْ منك ما ذكرتَ منها فأرسلتنى أعلمُ لها علمك . قال : ويحك غننى فإن جئتنى بما فى نفسى فلك حلتى الطبريّة[2] فقد أخذتها بثلثمائة[3] . فغنّيته :

عُلِّقَ القلبُ بعضَ ما قد شجاه من حبيبٍ أمسى هوانا هَواهُ

---

(١) يعنون أشعب ، وهو ترخيم ، كما قالوا فى أحمد حميد ، لغير نداء .

(٢) الطبرية : نسبة إلى طبرستان ، وفى الأصل : « الصبرية » بالصاد ، تحريف . وجاء فى كتاب (التبصر بالتجارة) للجاحظ ٢٢ بتحقيق العلامة حسن حسنى عبد الوهاب باشا « وخير الطيالسة الرويانية الطبرية » . وفى الحيوان (٣ : ٢٧) : « قلت لأحمد بن رياح : اشتريت كساء أبيض طبرياً بأربعمائة درهم » .

(٣) أى ثلاثمائة درهم . انظر ما سبق .

ما ضِرارى نفسى بهجرانِ من لَيْسَ مسيئاً ولا بعيداً نَوَاه

قال : ما عدوتَ ما فى نفسى . وأعطانى حلته ، فرجعت إلى سُكينة وهى جالسة تنتظر رجوعى فأخبرتها عنه وعن حاله التى رأيت عليها وما قلت وما صنع . قالت : فأين الحُلة ؟ قلت : معى . قالت : أفتريد يا شعيب أن تلبس حُلة قد لبسها ابن عثمان وتسلبه إياها ، لا ولا كرامة . قلت : والله لألبسنها . قالت : فأنا أشتريها منك . فاشترتها بمائة دينار ، ويقال بثلاثين ديناراً .

وكان تزويجُ إبراهيم بن عبد الرحمن بها أنها مكثت حيناً بعد زيدٍ لا تخطب ، فقالت لها مولاة لها : جعلت فداك ، لا أرى أهل المدينة يذكروننا . قالت : أما والله لأجعلنَّ لهم حديثاً . فأرسلت إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وكان شرساً كثير الشر ، فقالت له : كيف أنت إن تزوّجتك ؟ قال : تجدينى خير الناس .

وكانت ظريفة فقيل لها : يا سُكينة أختك ناسكة وأنت مزّاحة . قالت : إنكم سميتموها باسم جدّتها المؤمنة ، وسميتمونى باسم جدّتى التى لم تدرك الإسلام[1] .

ويقال إنها لما زُفت إلى زيد فحُملت ، قالت لمولى لها كان يمشى مع دابتها يقال له بخة : ويلك ما لَك . وقالت لرجل : قوّم هذا الأديم .

وذكرَ الفرزدق سكينة وشبّب بها وعمرُ بن عبد العزيز على المدينة ، فأخرجه منها ونفاه . فقال جرير فى ذلك :

نفاك الأغرُّ ابنُ عبد العزيز بحقٍّ كُنفَى من المسجدِ[2]

---

(١) أختها فاطمة بنت الحسين بن على ، سميت باسم جدتها فاطمة بنت الرسول زوج على ابن أبى طالب . ومما هو جدير بالذكر أن اسم سكينة بنت الحسين ، هو آمنة ، وأما سكينة فلقب لها ، وسميت آمنة باسم جدتها آمنة بنت وهب أم الرسول صلوات الله عليه . انظر الأغانى (١٤ : ١٥٨) .

(٢) وكذا رواية النقائض ٧٩٨ . وفى الأغانى (١٩ : ٥٢) : « ومثلك ينفى » .

وطافت سكينة بنت حسينٍ رضى الله عنه ، فلما انتهت إلى الركن اليمانى أعيتْ فى أول طواف ، ونظر إليها العرْجىّ فقال :

يقعُدنَ فى التَّطوافِ آونةً ويطُفْنَ أحياناً على فَتْرِ
حتى أستلمْنَ الركنَ فى أُنُفٍ من ليْلهنَّ يطأن فى الأُزْرِ
ففرَغْنَ فى سبعٍ وقد جُهِدَتْ أحشاؤهن مَوَائلَ الخُمْرِ

فسمعت شعرهُ امرأةٌ ووصفته لها ، فحفظت الشعر فأخبرتها ، قالت : « لو أن الجِمال طُفن سبعاً لجهدت أحشاؤهن » .

وقال أبو دَهْبَل يمدح عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام — وهو زوج سكينة ، ولدت منه قُريناً ، وحكيما ، وابنة . وأمُّ عبدالله بن عثمان بن عبدالله ابن حكيم رملة ابنة الزبير — فقال :

أكرم بنسلٍ منكَ بين محمدٍ وبين عَلِيٍّ فاسمعنَّ كلامى
وبين حكيم والزُّبير فلا أرى لهم شبهًا فى مُنْجِدٍ وَتَهَامِ
تمطَّتْ به بيضاء فرعُ نجيبةٍ حَصَانٌ وبعض الوالدِينَ عُرام[1]

٦ — أخبرنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : أمُّ إسحاق بن طلحة بن عبيد الله كانت عند الحسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فولدت له طلحة ، فلما حضرته الوفاة أمر أخاه الحسين بن علىّ أن يتزوّجها ، فتزوّجها فولدت له فاطمة بنت الحسين . فقُتل الحسين فتزوّجها محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر ، فولدت له آمنة .

٧ — أحمد قال أنبأنا أبو الحسن قال : ميمونة ابنة عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبى بكر ، كانت عند عبد العزيز بن الوليد ، فولدت له عبد الملك . وعتيقاً ، ثم خلف عليها محمد بن الوليد ، ثم خلف عليها هشام بن عبدالملك .

(١) العرام . الأذى ، وفى البيت إقواء .

٨ — عائشة ابنة طلحة . أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن عن سحيم بن حفص قال : تزوّج عائشة ابنة طلحة عبدُ الرحمن بن أبى بكر ، وهو أبو عُذْرتها ، فولدت له أولاداً ، فابنها طلحة الذى يقول له الشاعر :

يا طَلْحَ إن كنتَ أعطيتنى جُماليّةً تستخفُّ الضَّفارا[1]
فما كان نفعُك لى مرّةً ولا مرّتين ولكنْ مِرارا
أبوك الذى بايعَ المصطفى وسارَ مع المهتدِى حيثُ سارا

قال أبو الحسن : عن سحيم ، صارمت عائشة زوجَها ، وكان فى خُلُقها زَعارة ، فخرجت وهى مصارِمةٌ له فى مِلحفة ، فمرّت فى المسجد حتى دخلت حُجرة عائشة ، فرآها أبو هريرة رضى الله عنه فسبّح وقال : كأنها من الحور . فمكثت عند عائشة قريباً من أربعة أشهر ، فأرسلت عائشة إلى ابن أخيها : إنى أخاف عليك الإيلاء إن تمّت أربعة أشهر ، فضُمَّها إليك . وكان يلقى منها البلاء ، فقيل له طلقها ، فقال :

يقولون طلِّقْها ، وأصبحَ ثاويا مقيما عليك الهمُّ ، أحلامُ نائمِ
وإنّ فراقى أهلَ بيتٍ أودُّهُم لهم زُلفةٌ عندى لإحدى العظائمِ
فكيف بِصَفوالعيشِ من بعد بَينِهم وسُخْطُهُمُ يوما على الأنف خاطِمى

وخطبها مصعب بن الزبير فقالت : إن تزوّجته فهو علىّ كظهر أمى ثم سألت أهل المدينة فقالوا : أعتِقى رقبة وتزوّجيه . فتزوّجها فأصدقها خمسمائة ألف ، وأهدى لها خمسمائة ألف . فقال أنس بن أبى أنس بن زُنيم :

بُضْعُ الفتاةِ بألفِ ألفٍ كاملٍ وتبيتُ ساداتُ الجنود جياعا
لوْ لأبى حفصٍ أقولُ مَقالتى وأبثُّه ما قد رأى لارتاعا[2]

(١) الضفار ، بالفتح : ما يشد به البعير من شعر مضفور .
(٢) فى الأصل : « لولا أبو حفص » ، تحريف .

فبلغ الشعرُ عبد الله بن الزبير فقال : إنّ مصعباً قدّم خيره ، وأخّر أيره . و بلغ الكلامُ عبد الملك بن مروان فقال : لكن عبد الله قدّم أيره وأخّر خيره .

أحمد قال : قال أبو الحسن : قال الشعبي : كان يجالسنا أيام الفتنة رجل فقلت : من أنت ؟ قال : مولى عائشة بنت طلحة ، خطبها مصعب بن الزبير وتزوّجها فأحبها ، وكانت خطبة جميلة من امرأة فى أذنها عِظَم ، وفى ساقها حموشة[1] وقال قوم : فى قدمها عِظَمٌ . فأغارها مصعب يوماً فسمّته .

أنبأنا أحمد قال : قال أبو الحسن : عن علىّ بن مجاهد عن الشعبى قال : قال الشَّعبى : أخذ بيدى مصعب فمضى وأنا معه حتى دخل منزله و يده فى يدى فرفع ستراً فإذا عائشة ، فإذا أحسن الناس وجهاً ، فأعرضت وخلاّنى ودخل ، فرجعت ثم رحت إليه بالعشىّ وهو جالس فأشار إلىّ بيده فقال : رأيت ذاك الإنسان ؟ قلت : نعم . فقال : أفرأيت مثله ؟ فقلت : لا . قال : تلك ليلى التى يقول فيها الشاعر :

وما زلتُ من ليلَى لَدُنْ طَرَّ شاربى ... إلى اليوم أُخفِى حبَّها فأُبايِنُ[2]
وأحملُ فى ليـــلَى لقلبى ضَغينةً ... وتَحمِلُ فى ليلى علىَّ الضغائنُ

يا شعبىُّ رأيت عائشة وما بدٌّ لك إذ رأيتها من صلة . ثم قال لابن أبى فروة : أعط الشعبىَّ عشرة آلاف درهم وعشرين ثوباً . فقتل عنها مصعب فخطبها بشر ابن مروان . وقدِم عمرُ بن عبيد الله بن مَعْمر من الشام فنزل إلى الكوفة ، فبلغه أن بشراً خطب عائشة فأرسل إليها : « أنا خير لك من هذا المبسور[3] ، وأنا ابن عمِّك وأحق بك ، و إن تزوّجت بك ملأت بيتك خيراً ، وملأت حِرَكِ أيرا » . فبنى بها بالحيرة فمهدت له فرُشاً سعة عرضها أربع أذرع ، فأصبح ليلة بنائها عن

(١) الحموشة : الدقة . وفى الأصل : « جوسة » محرفة .
(٢) البيتان لكثير عزة كما فى الأغانى (٢ : ١٣٣) . وروايته : « وأداجن » .
(٣) المبسور : من به الباسور .

تسعة[١] . وكان عمر غليظاً أحمر يحتجم كل سبعة أيام ، فأخرجها معه إلى فديك[٢] .

ولها يقول الشاعر :

انعَمْ بعَيْشَةَ عيشاً غير ذى رَنَقٍ وانبِذْ برَمْلَةَ نبْذَ الجورب الخلَقِ

وقال آخر :

من يجعَل الدِّيباج عِدْلاً للزِّيقْ

أراد الريح ، وهو ريح الخميس[٣] .

بين الحَواريِّ وَبين الصِّدّيقْ

فمات عنها فبكته ، فعلموا أنها لا تزوّج .

أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن ، عن سحيم بن حفص قال : قالت رملة بنت طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى لمولاة عائشة : أرينى عائشة متجردة ، ولك ألفا درهم . فقالت لمولاتها : إنَّ رملة جعلت لى ألفى درهم إن رأتك متجردة . قالت : فإنى أتجرد لها فأعلميها . وتجردت وجعلت تغتسل مدبرة ومقبلة ، ورملة تنظر إليها ، ثم لبست ثيابها فأعطت رملةُ مولاتَها ألفى درهم ثم قالت : وددت أنى أعطيتك أربعة آلاف ولم أرَها .

قال أبو الحسن : عن أبى عمرو طارق بن المبارك قال : قال عمر بن أبى ربيعة لعائشة بنت طلحة يشبّب بها :

أصبح القلبُ فى الحبال رهيناَ مُقْصَداً يوم فارق الظّاعنينا

لم يرُعنى إلا الفتـــاةُ وإلا دمعُها فى الرّداء سَحًّا سَنينا[٤]

عَجّلت رُحّةُ الفراق علينـــا برحيلٍ ولم تخف أن تبينا

أنتِ أهْوَى العِبادِ قُرْباً وَوُدًّا لو تُواتِينَ عاشقاً محـــزُونا

(١) الذراع يذكر ويؤنث

(٢) فديك ، بالتصغير : موضع ، ولم يعينه ياقوت ولا صاحب القاموس .

(٣) كذا وردت هذه العبارة محرفة . والخميس : ضرب من ضروب اليمن .

(٤) السنين ، بفتح السين : المسنون المصبوب .

قادهُ الطرف يوم مرَّ إلى الحيـ ـن جهاراً ولم يخف أن يَحينا
وجلا بُردُ بِرْكةٍ جَنَـــدىٌّ ضوء وجْهٍ يُضىء للنّاظرينا(١)
فإذا ظبيـــةٌ تراعِي نعاجاً ومَهاً بُهَّجَ المناظرِ عِينـــا
قلت : من أنتمُ فصدّتْ وقالت : أمُبِدٌّ سؤالُك العالمينـــا(٢)
قلتُ : باللهِ ذى الجلالة لَمَا إذ تبلتِ الفُؤاد أنْ تصدُقِينا(٣)
أىُّ مَنْ تجمعُ المواسمُ أنتمْ فَأَبِينى لنـا ولا تَـكْذِبينـــا
نحن من ساكنى العراق وكُنَّا قبلها قاطنين مَكَّةَ حِينـــا
قد صدقناكِ إنْ سألتِ فمن أنـ ـتِ، عسى أن يجُرَّ شأنٌ شؤونا(٤)
قد نرى أننـا عرفناكِ بالنَّعـ ـت بظَنّ وما قَتَلْنا يقينا(٥)
بسواد الثَّنِيّتين وثغـــرٍ قد نَراهُ لنـــاظرٍ مُستَبينا

فكانت عائشة تقول : والله ما قلت له هذا وما كلمته قط .

أنبأنا أحمد قال أنبأنا أبو الحسن عبد الله بن فائد قال : دخلت عائشة بنت طلحة بمكة على الوليد بن عبد الملك فحدثته وقالت : يا أمير المؤمنين ، مُرلى بأعوانٍ . فصيَّرَ إليها قوماً يكونون معها ، فحجت ومعها ستون بغلاً عليها الهوادج والرحائل ، فقال عروة بن الزبير :

عائشَ يا ذاتَ البِغال السِّتِّينْ أكلَّ عامٍ هكذا تحجِّينْ

٩ — ابنة محمد بن عروة بن الزبير . أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال :

---

(١) البركة ، بالكسر : ضرب من برود اليمن . والجندى : نسبة إلى الجند بالتحريك ، وهو موضع باليمن . والبيت لم يرو فى ديوان عمر . انظر ص ٦٩ .
(٢) لما ، هنا بمعنى إلا .
(٣) قال ابن الأعرابى : يبدهم : يفرق القول فيهم . وأنشد :
بلغ بنى عجب وبلغ مأربا قولا يبدهم وقولا يجمع
انظر اللسان (٤ : ٤٥) . وفى الأصل : «مبذ» وهو على الصواب فى الديوان .
(٤) فى الأصل : « قد سألناك إذ سألت » ، والوجه ما أثبت من الديوان .
(٥) هو من قول الله : «وما قتلوه يقينا» . وفى الأصل والديوان : «وما قبلنا يقينا» .

ابنة محمد بن عروة بن الزبير كانت عند الحكم بن يحيى بن عروة ، وعند أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فتزوجها محمد بن عمران بن طلحة ، ثم راجعها الحكم ابن يحيى بن عروة ، ثم طلقها — وكان قاضياً على المدينة — واشترطت عليه أن عطاءه ما عاشت وغلة أرضه وبُضع بناته إليها ، تزوجهنّ من شاءت ، ولا يغير عليها ، فإن فعل فأمرها بيدها .

١٠ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن : أم سلمة ابنة عبد الرحمن بن سهيل ابن عمرو ، كانت عند الحجاج بن يوسف ، فطلقها فتزوجها الوليد بن عبد الملك ، فأعجلها سليمان وعليها درع فأدخله من وراء الثوب ، ثم طلقها فتزوجها هشام ابن عبد الملك .

١١ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : ربيحة بنت محمد بن على بن عبدالله ابن جعفر ، تزوجها يزيد بن عبد الملك ، ثم تزوجها أبو بكر بن عبد الملك ، فقتله عبد الله بن على وتزوجها صالح بن على ، فطلقها فتزوجها إسحاق بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن على عليهم السلام . وقوم يذكرون تزويج يزيد بن عبد الملك ربيحة .

١٢ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : سحيقة[1] ابنة محمد بن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، تزوّجها إسماعيل بن إبراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبد الله ، فولدت له ابنة ، ففارقها فتزوجها إسماعيل بن إبراهيم ابن عبد الله بن جعفر ، فتوفى عنها ، فراجعها إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، ثم طلقها فتزوجها عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

١٣ — أحمد قال : أنبأنا أبوالحسن قال : أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله كانت عند الحسن بن على ، فولدت له طلحة بن الحسن ، فمات عنها وأوصى الحسين بتزوجها ، فتزوجها الحسين ، فولدت له فاطمة بنت حسين ، فقُتل عنها ،

(١) اشتقاق اسمها من السحيقة ، وهى المطرة العظيمة .

فتزوجها ابن أبى عتيق — وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر — فولدت له آمنة . ويقال تزوجها قبل ابن أبى عتيق تمام بن العباس بن عبد المطلب فهلك عنها فتزوجها ابن أبى عتيق .

١٤ — أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : ميمونة بنت عبد الرحمن ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر ، كانت عند عبد العزيز بن الوليد ابن عبد الملك ، فولدت له عبد الملك وعتيقاً . وكان عبد الملك من رجالهم ، فمات فرثاه بعض الشعراء من كلب ، فقال :

إنِّى رأيتُ بَنِي أُمِّ البنينَ لهُمْ مجدٌ طويلٌ وفى أعمارهم قِصَرُ[1]
ماتَ الهمامُ أبو مَرْوانَ فاختشعَتْ كلْبٌ لذاك وذلَّتْ بعدَهُ مُضَرُ

ولعتيق يقول الشاعر :

ذهبَ الجودُ غيرَ جودِ عتيـــقِ ابن عبد العزيز مِنْ ميمونه
بنتِ قَرْم قد مُهِّدتْ من قريشٍ وأَبَى اللهُ أن تكونَ هجِينَهْ

ثم تزوجها محمد بن الوليد ، ثم تزوجها سليمان بن عبد الملك ، ثم تزوجها هشام ابن عبد الملك . ويقال : لم يتزوجها سليمان .

١٥ — أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : حفصة بنت عمران بن إبراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبيد الله ، تزوجها القاسم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو أبو عُذْرِها ، ثم خلف عليها هشام بن عبد الملك ، وكان القاسم شديد الغيرة ، فسمع يوماً كلامها ، أو رآها مشرفة ، فدخل عليها فضربها ، فأثر السوط بها ،

---

(١) أم البنين هذه هى بنت عبد العزيز بن مروان ، وهي كذلك زوجة الوليد بن عبد الملك . انظر الأغانى (٤ : ١٥٦ ساسى) . وأشهر من سمى بهذا الاسم من نساء العرب أم البنين زوج مالك بن جعفر بن كلاب . وفيها يقول لبيد :

* نحن بنو أم البنين الأربعه *

انظر المعارف ٤٠ مصر . ومنهن أم البنين زوج على بن أبى طالب ، ولدت العباس وجعفراً . وعبد الله . انظر المعارف ٣٩ .

فطلقها فتزوجها هشام ، فقالت له أم حكيم[1] : قل لها تريك ظهرها . فقال لها فأبت وقالت : ما تريد من ظهرى ، كنت عند رجل كريم غيور خير منك أمّاً وأباً و بيتاً ، غار فضربنى ضربة فصار فى ظهرى أثر . فطلقها فتزوجها محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، ثم تزوجها عثمان بن عُروة بن الزبير .

١٦ — أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : أم كلثوم ابنة عبد الله بن جعفر ، تزوجها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبى طالب ، فولدت له فاطمة ، ثم تزوجها الجرّاح أو الحجاج[2] ، فولدت له ابنة ، فطلقها ، فتزوجها أبان بن عثمان ابن عفان .

١٧ — أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : أم القاسم ابنة الحسن بن الحسن بن علىّ ، تزوجها مروان بن عثمان بن عفان ، فولدت له محمداً ، ثم خلف عليها على بن حسين بن حسن بن على ، ثم تزوجها الحسن بن عبد الله بن عبيد الله ابن العباس .

١٨ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : رملة ابنة محمد بن جعفر بن أبى طالب تزوجها سليمان بن هشام ، فطلقها فتزوجها أبو القاسم بن الوليد بن عتبة ابن أبى سفيان ، فقتله عبد الله بن على فتزوجها إسماعيل بن على أو صالح .

١٩ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : قريبةُ بنت أبى أمية بن المغيرة[3] . كانت عند عمر بن الخطاب ، فرجعت إلى الكفار ، فلما أسلمت تزوّجها معاوية

---

(١) هى أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن العاصى بن أمية . وهى زوج عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . الأغانى (١٥ : ٤٦ — ٤٧) . وسيفرد لها المدائنى حديثاً فى رقم ٢٥ .

(٢) ذكر أبو الفرج فى (١٠ : ١٠٥) خبر خطبة الحجاج بن يوسف لها . وأما الجراح فلعله الجراح بن حصين والى وادى القرى من قبل عبد الله بن الزبير ، وكان قد أنهب تمر الوادى ، فجعل عبد الله يحفقه بالدرة ويقول : «أكلت تمرى وعصيت أمرى» . انظر الاشتقاق ٢٤٣ .

(٣) قريبة ، بفتح أوله ويقال بالتصغير . وهى أخت أم سلمة زوج الرسول الكريم . واسم أبيها حذيفة وقيل سهيل ، وكان يلقب «زاد الركب» : كان إذا سافر لا يتزود معه أحد ، لجوده وكرمه . انظر الإصابة ٨٨٧ ، ١٣٠٢ من قسم النساء .

ابن أبى سفيان ، فقال له أبوه : أتزوّج ظعينة أمير المؤمنين ؟ انزل عن ثَقَله[١] . فطلقها فتزوجها عبد الرحمن بن أبى بكر ، فولدت له محمداً . فكانت عائشة عمته ، وأم حبيبة خالته ، فكان يدخل عليهما .

٢٠ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : أسماء بنت عميس ، كانت عند جعفر بن أبى طالب[٢] ، فولدت له عبد الله ، ومحمداً ، وعونا ، فتزوجها أبو بكر ، فولدت له محمداً ، فتزوجها علىٌّ عليه السلام ، فولدت له يحيى[٣] ، فقال لها على : احكمى بين بنيك . فقالت : أما بنو جعفر فبنو الطيار فى الجنة[٤] ، وأما ابن أبى بكر فابن الصديق ، و إنّ ثلاثة أنت أخسُّها لخيارٌ . فقال على لابنه : يا بُنىَّ قد فَسْكَلَتْ أباك[٥] .

٢١ — قال : وكانت عائشة بنت طلحة عند عمر بن عبد الله بن عبد الله ابن معمر ثمانى سنين ، ومات سنة اثنتين وثمانين ، فبكته قائمةً . أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن ، عن سحيم بن حفص ، قال : أتاها مصعب وهى قائمة متصبحة[٦] ، ومعه ثمان حبات لؤلؤ قيمتها عشرون ألف دينار ، ونثر اللؤلؤ فى حجرها ، فقالت : « نومتى كانت أحب إلىّ من هذا اللؤلؤ ! » . وولدت عائشة لعبد الله بن عبد الرحمن أولاداً . وجمع مصعب بينها و بين سكينة ، ومات مصعب عن سكينة وعائشة وأم حبيب بنت عبد الله بن عامر[٧] .

---

(١) العرب تقول لكل شىء نفيس خطير مصون : ثقل . والثقل أيضاً : المتاع والحشم .

(٢) وقد هاجرت معه إلى الحبشة ، فولدت له هناك أولاده ، وقد تزوجت أبا بكر بعد ما قتل عنها جعفر . الإصابة ٥١ من قسم النساء .

(٣) فى الإصابة أنها ولدت له عوناً ويحيى .

(٤) الطيار لقب جعفر . انظر تعليل هذا اللقب فى الإصابة ١١٦٢ والحيوان (٣ : ٢٣٣) :

(٥) فسكلته ، بفتح الفاء والكاف وسكون السين : أى أخرته وجعلته كالفسكل ، بالكسر ، وهو الفرس الذى يجىء فى آخر خيل السباق .

(٦) المتصبحة : التى تنام الصبحة ، وهى نومة الغداة .

(٧) هذه الفقرة من أولها إلى هنا ، هى فى الأصل بعد الفقرة رقم ٢٤ وقد أعدتها إلى موضعها .

أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن عن أبى إسحاق بن ربيعة قال : قال سَلم بن قتيبة : رأيت عائشة بنت طلحة بمكة فى المسجد ، فسلمتُ عليها وانتسبت لها ، فبكت وقالت : يرحم الله المصعب . فأرادت النهوض فأخذت امرأتان بيديها — وعندها نسوة — فاعتمدت على المرأتين ، فما كادت أن تستقل [حتى] خذَلها وركاها ، فقالت حدى المرأتين : إنا بك لمتعبات . وكانت مديدة الجسم كثيرة اللحم .

٢٢ — أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : ابنة طلحة بن عمر بن عبيد الله كانت عند الحسن بن الحسن بن على ، فكان يقول له : إنها[1] حملت وولدت وهى ما تكلمنى وإنها لمصارِمة لى .

٢٣ — امرأة [من] آل أبى بكر : أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : تزوج موسى بن عبد الله بن الحسن امرأة من ولد أبى بكر فغضبت يوماً فأمرت جوارى فأمسكنه وضربنه ، فأفلت وخرج ، فلقيه أخوه إبراهيم فقال : مالك ؟ قال : ضربتنى ابنة أبى بكر . قال : خذ السوط فوالله لئن لم تضربها لا كلمتك . فدخل وقام إبراهيم على الباب وقال للجوارى : يافواسق ، والله لئن منعته واحدة منكن لأدخلن عليكن . وقال لموسى : اضرب أوجعها . فقال موسى لامرأته :

إنِّى زعيم أن أجئَ بضرّةٍ مقابَلةِ الأجداد ، طيِّبةِ النَّشْرِ[2]
إذا انتسبت فى آل شيبان فى الذُّرى وتَغْلِبَ لم تُقْرِرْ بفَضْلِ أبى بكرِ
تحكَّمُ أحياناً علينـــا وتارةً
تَبَدَّى كَقَرْنِ الشمس أو صورةِ البَدْرِ[3]

(١) فى الأصل : « بما حلت » . ولم تذكر النسخة شيئاً عن تزوجها بغير الحسن كما ترى .
(٢) المقابل : الكريم النسب من قبل أبويه جميعاً .
(٣) قرن الشمس : أولها عند الطلوع . وفى الأصل : « لقرن الشمس » .

٢٤ — امرأة من تيم . أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن قال : وكانت عند يحيى بن عبد الله بن الحسن امرأة من بنى تيم ، فخاصمته إلى جعفر بن سليمان بالمدينة ، فقضى عليها وقال : اذهب بها حيث شئت .

٢٥ — قال : وكانت أم حكيم ابنة يحيى بن الحكم عند سليمان بن عبد الملك ، ثم يزيد بن عبد الملك ، ثم هشام بن عبد الملك[1] .

٢٦ — قال : وتزوّج عبد العزيز بن الوليد أم خالد بنت عبد الله بن أسيد ، فغلبته على أمره كله ، وكان يقال : عبد العزيز بن الوليد سيد الناس ، إلا أن أم خالد قد غلبته على أمره . فأمره الوليد فطلقها .

٢٧ — أم عمرو ابنة عبد الله بن خالد . قال : أم عمرو بنت عبد الله بن خالد بن أسيد ، كانت عند سليمان بن عبد الملك ، فقدم خالد وعبد الله ، فوصل خالداً وفضله على عبد الله ، فقالت أم عمرو : عبد الله أكرم من خالد وفضلته عليه ! فقال : ويحك ، إنى أعرف أن عبد الله أسنهما ولكن خالداً كان خاصتى ، وكان له عندى يد وأنا صعلوك ، فإنما فضلته لذلك .

٢٨ — قال : أنبأنا أبو الحسن قال : كانت دجاجة ابنة أسماء بن الصلت السلمى عند عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، فولدت له عبد الله بن عامر[2] . ثم تزوّجها عمير الليثى فولدت عبيد بن عمير الفقيه المحدث[3] ، ثم تزوّجها الأسود فولدت له عبد الله بن الأسود . فكان يقال لها أم العبادلة[4] .

* * *

(١) وقد تزوجت أيضاً عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، كما فى الأغانى (١٥ : ٤٧) .

(٢) فى الإصابة ٣٩٢ من قسم النساء « أن النبى صلى الله عليه وسلم وجد عند عمير خمس نسوة ، فطلق منهن دجاجة بنت أسماء ، فخلف عليها عامر بن كريز ، فولدت له عبد الله ابن عامر » .

(٣) فى الأصل : « عبيد الله بن عمير » والصواب « عبيد » كما أثبت . انظر الإصابة ٦٢٣٨ وتهذيب التهذيب ، والمعارف ٣١ ، ١٩٢ . وأبوه عمير بن قتادة الليثى . كان عبيد قاضى أهل مكة ، وتوفى سنة ٦٨ .

(٤) هذا على التغليب ، وإلا فإن ولد عمير الليثى هو عبيد بن عمير كما مضى فى التنبيه السابق . والفقرة التالية صلة للفقرة ٣١ .

أنبأنا أحمد قال : أنبأنا أبو الحسن عن سحيم بن حفص[1] قال : كان مصعب ابن الزبير لا يصل إلى عائشة إلا بشدة ، ولا يقدر عليها إلا ببلاء حتى يخرق ثيابها ويضربها ، فشكا ذلك إلى عبد الله بن أبي فروة كاتبه ، فقال له : أفتأذن لى فى الحيلة ؟ قال : نعم ، اصنع ما شئت فإنها أفضل ما نلت من الدنيا . فأتاها ليلا فاستأذن عليها ، فقالت له : هذه الساعة ! قال : نعم ، ففزعت — ومعه أسودان — فقالت له مولاة لها : ما شأنك ؟ قال : شؤم مولاتك ، قالت : وما لها ؟ قال : أمرنى هذا الفاسق الفاجر ، أسفكُ مَن خلق الله لدمٍ حرام وأقتلُه للناس ، أن أحتفر بئراً وأدفنها فيه حية . وقد والله حَرَصت أن يُعفينى من هذا ، فأمر بقتلى . قالت : فأنظرنى أذهب إليه . قال : لا سبيل إلى ذلك ، وقال للأسودين : احفرا . فبكت عائشة ورأت الجد ، وقالت : يا ابن أبي فروة ، إنك لتقتلنى ! قال : ما منه بد ، وإنى لأعلم أن الله سيخزيه ، ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب . قالت : فأى شيء أغضبه ؟ قال : فى امتناعك عليه ، وقد ظن أنك تبغضينه وأنك تَطَلَّعين إلى غيره ، فقد جن . فقالت : أذكّرك الله إلا عاودته . قال : أخاف أن يقتلنى . فبكت وجواريها فقال : قد رققت وأنا أغرر بنفسى فما أقول ؟ قالت : اضمن عنى أنى لا أعود أبداً[2] . قال : فاعطينى مواثيق . فأعطته ، فقال للأسودين : مكانكما . وأتى مصعباً فأخبره ، فقال : استوثق منها بالأيمان . فأتاها فقال : هذا الفاسق قد سكن بعض السكون وسكن شيطانه ، فاحلفى لى أن لا تخالفيه ، فوثقت له ، وصلحت لمصعب .

نجز الكتاب والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) هو أبو اليقظان عامر بن حفص ، وسحيم لقبه ، وبلقبه هذا يذكره الجاحظ فى مواضع كثيرة من البيان ، والمدائنى فى كتبه يذكره بثمانية ألقاب وأسماء . انظر الفهرست ٩٤ ليبسك و ١٤٨ مصر . قال ابن النديم : كان عالما بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب ، ثقة فيما يرويه . وتوفى سنة ١٩٠ . وانظر الحيوان (٢ : ١٥٥ س ٩) .

(٢) أى لا تعود إلى ما كان منها من التأبى والنشوز .

كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء

صنعة محمد بن حبيب

٠٠٠ — ٢٤٥

مقـــدمة

يضم هذا الكتاب النفيس طائفة من شعراء العرب الذين عرفوا بنسبتهم إلى أمهاتهم ، وهو ضرب من التأليف طريف ، يعالجه إمام من أئمة الأخبار والأنساب ورواية الشعر ، وهو محمد بن حبيب بن جعفر . قال ياقوت : من علماء بغداد باللغة والشعر والأخبار والأنساب ، ثقة مؤدِّب ، ولا يعرف أبوه ، وحبيب أمه . روى كتب الكلبي وقطرب ، وكانت أمه مولاة لمحمد بن العباس الهاشمي . وقال ابن النديم مرة : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمر . ثم روى عن عبد العزيز الهاشمي قال : كان محمد بن حبيب مولى لنا — يعني لبني العباس بن محمد . وكانت أمه حبيب مولاة لنا . روى عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة وأبي اليقظان ، وله مصنفات أشهرها نقائض جرير والفرزدق ، توفي بسامرا سنة ٢٤٥ . انظر ابن النديم ١٥٥ و بغية الوعاة . ومن نسبه تدرك سر اهتمامه بهذا البحث .

ومن هذا الكتاب نسختان في دار الكتب المصرية : إحداهما برقم ٦ مجاميع ش ، رمزت إليها بحرف (ا)، والثانية برقم ٧٥ ش أدب ، وهي نسخة (ب) .

وقد قمت بنشر هذا الكتاب من قبل في مجلة المقتطف (مايو سنة ١٩٤٥) ونشره من قبلي المستشرق الكبير الأستاذ (ج . ليني دِلاّفيدا) الأستاذ بجامعة بنسلفانيا ، في مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية بالعدد ٦٢ ص ١٥٦ — ١٧١ سنة ١٩٤٢ ، ولم أكن قد علمت بأنه سبقني في النشر ، وتكرّم ، حفظه الله ، فأرسل إليّ في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٥٠ مستخرجا من نسخته مع خطاب رقيق ينوّه فيه في تواضع العالم بأن نسختي تعدّ ممتازة من كافة النواحي ، حتى إنه ليشعر بأن عمله غير متكافئ مع عملي في نسختي التي أخرجتها (Votre édition du Mannusiba ... est excellent sous tous les rapports, et rend la mienne à peu prés inutile.)

وإني لأسجل مجاملته هذه تذكاراً لتواضعه ، وإجلالاً لخُلقه العلمي الرصين .

كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء

صنعة محمد بن حبيب وتصنيفه ، من رواية عثمان بن جنى رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين

قرأت على أخى محمد قال : سمعته يُقرأ على أبى عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة[1] قال : قرأت على ثعلب[2] قال : قال أبو جعفر محمد بن حبيب :

ذكر من نسب إلى أمه من الشعراء :

١ — (ابن شَعُوب) أمه شَعُوب من بنى خزاعة ، واسمه عمرو بن سُمَيّ ابن كعب بن عبد شمس بن مالك بن جَعْوَنة بن عُويرة بن شِجْع بن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة . وهو الذى يقول :

ما ذا بالقليب قَليب بدرٍ ... من القَيهات والشَّرْب الكرامِ
وماذا بالقليب قَليب بدرٍ ... من الشِّيزى تكلّلُ بالسَّنامِ
تحيِّ بالسلامة أمُّ بكرٍ ... وما لى بعد قومى من سَلامِ
يخبّرنا النبيُّ بأن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهامِ

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليم بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة العتكي الأزدى الواسطى ، أبو عبد الله الملقب نفطويه . كان عالما بالعربية واللغة والحديث ، أخذ عن ثعلب والمبرد ، وكان فقيها على مذهب داود الظاهرى رأساً فيه . وكان بينه وبين ابن دريد منافرة ، وهو القائل فيه :

ابن دريد بقره ... وفيه عى وشره

وله من التصانيف : إعراب القرآن . المقنع فى النحو . الأمثال . المصادر . أمثال القرآن وغيرها . ولد سنة ٢٤٤ وتوفى سنة ٣٢٣ . انظر إرشاد الأريب ، وبغية الوعاة ، وابن النديم ٧٨ .

(٢) هو أحمد بن يحيى بن يسار الشيبانى البغدادى ، أبو العباس ثعلب ، أمام الكوفيين فى النحو واللغة ، لازم ابن الأعرابى بضع عشرة سنة ، وسمع من محمد بن سلام الجمحى ، وسلمة بن عاصم ، وخلف ، وروى عنه اليزيدى ، والأخفش الأصغر ، ونفطويه ، وأبو عمر الزاهد . وكان بينه وبين المبرد منافرات . وأشهر تصانيفه كتاب الفصيح . ولد سنة ٢٠٠ وتوفى سنة ٢٩١ . انظر بغية الوعاة ، وابن النديم ١١٠ — ١١١ .

وله شعر كثير ، قاله وهو كافر ، ثم أسلم بعد .

٢ — و (ابن أمِّ حَوليّ) من بنى الحارث بن همّام ، شاعر أغار على بنى يربوع ، فلحقه منهم قوم ، فقاتلهم حتى أحرز غنيمته ، وقال :

نحن بنى الحارث قد آلينا لا يُؤخذُ النهبُ الذى حوينا
أبالصِّياح عوَّلوا علينا إنا إذا صيح بنا أبَيْنا
لا نجعلُ الطَّعْنَ بِنَقْدٍ دَيْنا

٣ — و (عَطّاف بن بَشّة[1] الشيبانى) ، قال لخاله عدىّ بن ضبّ :

عدىَّ بن ضبٍّ من تكن أنتَ خالَهُ أخا أمه تُدلجْ بلُومٍ ركائبُه

وقال :

وطالبِ وترٍ قد أنى الليلُ دونَه وماسَبْقُ وترٍ أدركَ اليومَ أو غَدَا

وقال :

أنا ابن الذى لم يُخْزِنى فى حياته ولم يُخْـــزِه عند الوفاة بلائيا

٤ — و (ابن طوعة) الشيبانى ، واسمه ناصر بن عاصم[2] وأمه « طوعة » ، أَمَة أو أخيذة من آل ذى الجدَّين ، قال[3] :

تعطفَ اللُّوم على عَطّافِ بين بنى الحارثِ والأحلافِ

٥ — و (ربيعة بن غزالة) الكندى[4] شاعرٌ حليف بنى شيبان ، وأمه غزالة ، قال :

---

(١) فى معجم المرزبانى ٢٩٩ : « نشة » بالنون .

(٢) فى المؤتلف ١٤٨ أن ابن طوعة الشيبانى من آل ذى الجدين . وفصل بينه وبين ابن طوعة الفزارى ، ونسب هذا الفزارى نصر بن عاصم بن عقبة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى . وقد جعلهما ابن حبيب هنا واحداً . وانظر ألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٢٣ .

(٣) يهجو عطاف بن نشة الشيبانى كما فى المؤتلف ١٤٨ .

(٤) اسمه ربيعة بن عبد الله بن ربيعة بن سلمة بن الحارث بن سوم بن عدى بن أشرس بن شيبب بن السكون ، شاعر جاهلى أدرك الإسلام فأسلم . وينسب أيضاً « السكونى » بفتح السين ، نسبة إلى السكون بن أشرس بن ثور بن كندة . انظر الاشتقاق ٢١١ والمؤتلف ١٢٥ والإصابة ٢٧٢٧ وألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٤٠ .

كأنى إذ وضعت الرحل فيهم بمكة حيث حَلَّ بها هشامُ[1]

٦ — و (ابن حَجلة الأسدى) وهى أمه ، واسمه عبد بن مُعَرّض ، أحد بنى ثعلبة بن سعد بن دُودان من بنى أسد ، شاعر ، وهو الذى يقول :

مَنَ أخطتهُ ولادتنا فإنا ولدنا سيِّد الناس الوليدا[2]

٧ — و (السَّندرىّ بن عَيْساء[3] الجعفرى) ، وهى أمه ، أمَة لشريح بن الأحوص بن جعفر[4] ، وهو الذى يقول :

هل فيكم يوم كيوم جبله يوم أتتنا أسدٌ وحنظله
والمِلكان والقطينُ أزفلَه[5] نعلوهم بقُضُبٍ منتخَله
لم تعْدُ أن أفرشَ عنها الصَّقله[6]

وقال :

أنا لمن يسأل عنى السَّندَرى أنا الغلام الأحوصىُّ الجعفرى

٨ — و (حبيب بن خُدرة الهلالى) خارجى[7] ، كان مع شبيب ، وذُكر أنه أدرك الحكمين ، وبقى حتى أدرك الضحاك الذى أخذ بالكوفة . وقال :

نهيتُ بنى فِهر غداة لقيتهمْ وحَىَّ نُصيب والظنون تطاعُ

---

(١) ا : « بها شآم » تحريف .

(٢) أخطته ، عى أخطأته ، سهل همزتها ثم عاملها معاملة المعتل فحذف الألف للجازم . ب : « أخطأته » تحريف ، صوابه فى ا . وانظر ص ٧٩ س ٧ .

(٣) عيساء ، مؤنث الأعيس ، وأصله فى الإبل الأبيض يخالط بياضه شقرة ، وبه سميت المرأة ، وفى ا : « عبساء » بالموحدة ، تحريف ، وقد جاء على الصواب الذى أثبت فى كتاب ألقاب الشعراء الملحق بكتاب أسماء المغتالين من الأشراف لمحمد بن حبيب ، المحفوظ فى دار الكتب المصرية برقم ٢٦٠٦ . انظر منه ص ١٣٤ وكذا الأغانى (١٥ : ٥٣) .

(٤) فى المؤتلف ١٢٥ أنه السندرى بن يزيد بن شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب . وهو ينسب أيضاً « الكلابى » . وفى الأغانى أن « عيساء » اسم جدته .

(٥) الأزفلة : الجماعة من الناس .

(٦) أى لم تجاوز أن أقلع عنها الصقلة . والرجز منسوب فى اللسان (٨ : ٢٢١) إلى يزيد بن عمرو بن الصعق ، وفى معجم البلدان إلى رجل من بنى عامر .

(٧) فى القاموس : « حبيب بن خدرة تابعى » .

فقلت لهم إن الجريبَ ورا كسا بها نعمٌ يرعى المُرارَ رتاعُ[1]
ولكن فيه السم إن ريعَ أهله وإن يأته قومٌ هنالك يراعُ

وقال :

تفرقتم أن تذكوا الحىّ بيضة فظلّ لكم يومٌ إلى الليل أشنع[2]

وقال :

أصاح ترى برَيقاً هبّ وهنا يؤرّقنى وأصحـــابى هجودُ

٩ — و (ابن عَيزارة الهذَلى) وهو قيس بن خويلد[3] ، شاعر . قال :

لعمرك أنسَى روعتى يوم أقْتُدٍ وهل تتركَنْ نفسَ الأسير الروائعُ

وقال :

يا حار إنى يا ابن أمَّ عميدُ كمدٌ كأنى فى الفؤاد لهيدُ

١٠ — و (قُطبة بن الزّبَعرى) ، وهى أمُّه . وهو قطبة بن زيد بن سعد ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن كنانة بن [القين بن] جسر ، شاعر . قال :

حميتُ القوم قد علمت معدٌّ ومَن للقومِ من مولًى وجارِ
حبوتُ بها قضاعة إنّ مثلى حقيقٌ أن يذبّ عن الذمارِ
ولستُ كمن يغمّز جانباه كغمز التِّين تجنيه الجوارى

وكان قطبة سيّد قضاعة فى الجاهلية وأوّل الإسلام .

١١ — و (قيس بن الحُدَادية[4]) وهى أمه ، من محارب ، حضرمية ، وله

---

(١) الجريب : واد كانت به وقعة لبنى سعد بن ثعلبة . وفى الأصل : « الحريب » بالحاء تحريف ، وقد أنشد هذا البيت ياقوت ونسبه إلى عمرو بن شأس السكندى . وعجزه عنده : « به إبل ترعى المرار » .

(٢) صدر البيت محرف ، وموضع كلمة : « تذكوا » بياض فى ب .

(٣) هو قيس بن خويلد بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة ، أخذته فهم وأخذ تأبط شرا سلاحه ، ثم أفلت قيس ، وأنشد أبياتاً رواها المرزبانى فى المعجم ٣٢٦ وأولها هذا البيت الذى رواه ابن حبيب .

(٤) هو شاعر جاهلى فاتك صعلوك خليع ، خلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على نفسها بخلعها إياه ، فلا تحتمل جريرة له ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه . وهو قيس =

شعر . قال ابن الأعرابى : حُداد من كنانة . وهو الذى يقول[1] :

أنا الذى أطرَدَه موالِيهْ وكُلُّهم بعد الصَّفاء قالِيهْ

١٢ — و (عمرو بن الصماء الخزاعى) له شعر ، قال فى حرب بينهم وبين كنانة :

إلاّ تعاجلْنى المنية أستقد مقاد جيادى من عُمير ومعبد
ولو أدركتْ خيلى عُميراً ومعبدا ونُعمان ما آبوا بناقلةٍ بعدى
لكانوا لأطراف القنا أو لفازعوا إلى الحىّ أعناق المطىِّ المعضَّدِ[2]

١٣ — و (عياض بن أم شهمة[3] الخزاعى) إسلامى ، قال :

هاجتك أطلالٌ ومُبترَك قفرُ خلا منذ أجلى أهلُها حِججٌ عشرُ[4]

١٤ — و (العريان بن أم سهلة النبهانى) وهو من طيِّئ . قال :

لمن الديار غشيتها برماح فعَمايتَين فجانب السِّرداحِ
فجنوب فيحان كأن رسومها حُللٌ يمانيةٌ على ألواحِ

١٥ — و (ابن السَّجراء) من حُرقة جهينة . قال : وحُرقة هم بنو خميس ابن عامر بن مودوعة من جهينة ، كانوا حلفاء للحُصين بن الحُمام السهمىّ من بنى سهم بن مرة ، و بَشامة بن الغدير السهمى . قال ابن سجراء يوم دارة موضوع :

= بن منقذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حبشية بن سلول . انظر الأغانى (١٣ : ٢ — ٨) . وبنو حداد بضم الحاء وتخفيف الدال . انظر الاشتقاق ٢٧٧ ، وقد نسبه « قيس بن عمرو بن منقذ » . وفى ألقاب الشعراء لابن حبيب أن أمه من محارب بن خصفة . انظر ص ١٣٩ .

(١) قاله فى الوقعة التى قتل فيها ، وهو يشير إلى ما كان من خلع قومه إياه .

(٢) ب : « كأطراف القنا » . وقد اختلفت ضروب الأبيات فأتى أوسطها سميعاً بين ضربين مقبوضين .

(٣) فى معجم المرزبانى ٢٦٩ : « عياض بن أم سهمة » بالسين المهملة .

(٤) فى الأصل : « حاجتك » محرف . وفى المرزبانى : « ومنزلة قفر » .

لما أتانا جمعُ قيس وواجهت كتائب خرس بينهنَّ زفيفُ
فلما عَلَت دعوى خميس بن عامر وقد كلَّ مولانا وكاد يحيفُ
هممنا به ثم ارعوينا حفيظة فذلَّ بنا غاشٍ وعزَّ حليفُ

١٦ — و (حميد بن طاعة السَّكُونىّ[1]) قال :

ولما استقلَّ الحىّ فى رونق الضحى قبضنَ الوصايا والحديث المجمجما
وكان لمُوحٌ من خَصَاص ورِقبَةٌ مخافةَ أعداء وطَرفاً مقسَّما
ولما لحقنا لم يقل ذو لُبَانةٍ لهمٍّ ولا ذو حاجة ما تيمما
من البيض مِكسال إذا ما تلبَّست بعقل امرئٍ لم ينجُ منها مسلَّما

وقال لعمر بن الخطاب :

إنك مسترعًى وإنا رعيَّةٌ وإنك مدعوٌّ بسيماك يا عمرْ
لدى يوم شرٍّ شرُّه لشراره وخيرٌ لمن كانت معائشه الخِيَرْ[2]

وقال :

ما إن رأينا مثلك ابن الخطابْ أبرَّ بالدين وبالأحسابْ
بعد النبى صاحب الكتاب

١٧ — و (ابن الدُّمَينة الخثعمى) واسمه عبد الله ، وله شعر كثير[3] .

١٨ — و (يزيد بن ضَبَّة) أمه ضَبَّة[4] ، وأبوه مِقْسَم ، وهو كثير الشعر ، وهو مولى لثقيف ، وهو الذى يقول :

---

(١) جعله الآمدى فى ص ١٤٩ : « الشكوى » ، نسبة إلى « شكو » بفتح الشين وسكون الكاف ، وهو أبو بطن .

(٢) ا : « معائيشه » معائيش : جمع معيشة ، وفيها شذوذان ، همز الياء الأولى ، وإلحاق الياء الثانية ، وإلحاقها مذهب للكوفيين يجيزونه . وأثبت ما فى ب .

(٣) ديوانه مطبوع . وانظر الأغانى (١٥ : ١٤٤ — ١٥٠) .

(٤) فى ا : « ضنة » ، بالنون وفى ب : « ضنة » لكن أصلحت فى النسخة فجعلت : « ضبة » بالباء .

مشْيُ البرىّ مع المقارف تهمة ويُرَى البرىّ مع السقيم فيُلطخُ

وهو الذى يقول :

صبا قلبى إلى هند وهنـد مثلها يصبى

١٩ — و (ابن الطَّثْرية[1]) وهو ابن عبيد بن عمرو بن الحارث بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم[2] ، وهو الذى يقول :

ألا عتبت علىّ وصرَّمتنى وأعجبها ذوو اللمم الطوالِ

فإنى يا أُبنةَ السعدىِّ أُربى على فعل الوَضىِّ من الرجالِ

٢٠ — و (ابن فسوة) وهو عُتيبة بن مرداس الكعبى[3] . وإنما قيل له ابن فسوة لأنه نزل بهم رجل من عبد القيس يقال له ابن فَسوة ، فكان يعيَّر به ، فقال له مرداس : أنا أشترى منك هذا الاسم بكبش ، فاشتراه ، فقال [أخو[4]] عتيبة :

حوَّل مولانا علينا اسم أمه ألا رُبَّ مولًى ناقص غير زائدِ

٢١ — و (ابن الهيجُانة العبسى) لم نعرفه ، وذُكر أن الهيجانة بنت العنبر بن عمرو بن تميم .

٢٢ — ومن شعراء ربيعة (ابن أم الحزنة العبدى) ، وأم حزنة أمه ، وهو ثعلبة بن حزْن بن زيد مناة بن الحارث بن ثعلبة بن سُليمة بن مالك بن عامر

---

(١) الطثرية : أمه ، من بنى الطثر ، بالفتح ، وهم حى من اليمن ، قال ابن خلكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة » . وضبطها صاحب القاموس بالتحريك ، والوجه الإسكان كما جاءت مضبوطة به فى نسخة ليدن من الشعراء . انظر شرح الحيوان (٦ : ١٣٧) .

(٢) كذا ورد فى النسختين ، وهذا النسب يخالف ما فى كتب التراجم ، فلعل فى الكلام سقطاً .

(٣) فى الأغانى (١٩ : ١٤٣) وكذلك ألقاب الشعراء لابن حبيب ص ١٢٨ — ١٢٩ « عيينة » . ويدل على صواب ما هنا قول ابن قتيبة فى الشعراء : « هو عتيبة ويقال عتبة » .

(٤) التكملة من كنى الشعراء لابن حبيب ص ١٢٩ .

ابن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لُكيز بن أفصى بن عبد القيس. وله شعر كثير.

٢٣ — و (عمرو بن مبردة) ، عبدى[١] .

٢٤ — و (ابن الذيبة) وهى أمه ، امرأة من فهم ، واسمه ربيعة بن عبد ياليل ، واسم الذيبة قِلابة ، فلقبت الذيبة ، وهو الذى يقول :

إنى لمن أنكرنى ابن الذيبة كريمة عفيفة منسوبه

٢٥ — و (شبيب بن البرصاء[٢]) ، وهى أمه . وهو شبيب بن يزيد ابن جمرة[٣] بن عوف بن أبى حارثة ، وأمه القِرضابة بنت الحارث بن عوف ابن أبى حارثة ، وأختها عمرة بنت الحارث أم عقيل بن علّفة[٤] . وهو الذى يقول :

قامت وأعلَى خلقها فى ثيابها قضيبٌ وما تحت الإزار كثيبُ

وقال :

لا خير فى العيدان إلاّ صلابها ولا ناهضات الطير إلاّ صقورُها

تبيّنُ أدبارُ الأمور إذا انقضت وتقبل أشباهاً عليك صدورُها

٢٦ — و بعض (بنى أم قرفة) . وأم قرفة اسمها فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارى ، وأبوهم مالك بن حذيفة بن بدر تزوج ابنة عمه .

---

(١) ذكره المرزبانى فى المعجم ٢٤٠ وقال : « هو أحد بنى محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس ... وهو إسلامى ، أنشد عبد الملك بن مروان لما استبق بنوه فسبق مسلمة — وكان ابن أمة — :

نهيتكم أن تحملوا هجناءكم على خيلكم يوم الرهان فتدركوا »

(٢) قال ابن دريد : « كان النبى صلى الله عليه وسلم خطب البرصاء إلى أبيها ، فقال : إن بها سوءاً — وهو كاذب — فرجع فوجد بها برصاً » . وسماها ابن حبيب فى ألقاب الشعراء ١٣٢ « أمامة بنت الحارث بن عوف » .

(٣) ويقال : « حزة » ويقال : « خمرة » . انظر حواشى الاشتقاق ١٢٦ ، وفى ألقاب الشعراء ١٣٢ : « حيوة » .

(٤) فى الأصل : « علقمة » ، وهو تحريف . انظر حواشى الاشتقاق .

٢٧ — و (ابن ميادة المرى) من بنى غيظ بن مرة ، واسمه الرماح بن الأبيرد ابن ثَريان[١] . كثير الشعر . وهو الذى يقول :

اعزنزمِى ميَّـــاد للقوافى واستسمِعيهنَّ ولا تخـــافى[٢]

وقال :

ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلة بحرَّة ليلَى حيثُ ربَّتنى أهـلى
وهل أسمعنَّ الدهر أصوات هَجمةٍ تطالع من هَجل قريب إلى هجل[٣]

يقال ربْبت الصبى أربه ربا فأنا رابٌّ وهو مربوب ، وربّيته أربّيه تربية فأنا مربٍّ وهو مربًّى ، وربّتُّه أربّته تربيتاً فأنا مربّت وهو مربَّت . ويقال رَبِيت فى بنى فلان ، وربوت فيهم ، وتربيت ، وتربّت ، كله فصيح مقبول .

٢٨ — و (بَشَامة بن الغدير) وهى أمه ، وهو بشامة بن عمرو بن هلال[٤] ابن وائلة بن سهم بن مرة ، كثير الشعر . وهو الذى يقول :

فإنكم وعطـــــايا الرها ن إذ جرَّت الحرب جُلاًّ جليلا
كثوب ابن بيض وقاهم به فسد على السالكين السبيلا[٥]

٢٩ — وأخوه (أسعد بن الغدير) شاعر ، وهو خال أبى سلمى[٦] زهير ابن أبى سلمى الشاعر .

---

(١) فى الأغانى « أبرد بن ثوبان » وفى المؤتلف « أبرد بن ثريان » وفى معجم البلدان « الرماح بن يزيد وقيل ابن الأبرد » وفى ألقاب الشعراء ١٣٢ : « الرماح بن الأبرد ابن مرداس » .

(٢) الاعزنزام : الاجتماع والتقبض . وفى الأصل : « اعزترحى » والصواب فيما أثبت كما صححت بذلك فى ب . وفى ا : « واستسمعهن » محرفة .

(٣) فى معجم البلدان (٣ : ٢٦٠) : « من هجل خصيب » . وروى ياقوت هذين البيتين فى خمسة أبيات قالها ابن ميادة حين استخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فاستقدمه وأقام عنده دهراً ثم اشتاق إلى وطنه .

(٤) فى الأصل : « ملاك » والصواب ما أثبت . وانظر المؤتلف ٦٦ ، ١٦٣ والمفضليات (١ : ٥٣ طبع المعارف) .

(٥) انظر شرح البيتين فى المفضليات (١ : ٥٨) .

(٦) أبو سلمى كنية زهير بن أبى سلمى ، كما فى كنى الشعراء لابن حبيب ص ١٢٣ من مصورة دار الكتب . وقد زاد القنقيطى كلمة : « أبى » قبل « زهير » فلم ينتبه إلى ما ذكرت .

٣٠ — و (زُميل بن أم دينار) أبوه أُبَير بن عبد مناف ، من مازن بن فزارة ، وهو قاتل ابن دارة . وابن دارة اسمه سالم بن مسافع بن يربوع . هو دارة القمر ، سمى دارة ، شبه بدارة القمر لحسنه ، وهو من بنى عبد الله بن غطفان . وزميل الذى يقول :

أبلغ فزارة أنى قد شَرَيت لهم مجد الحياة بسيفى بيع ذى الخلقِ

وقال :

أنا زميل قاتل ابن داره وكاشف المخزاة عن فزاره
ثم جعلت عقله البِكاره

٣١ — و (قَعْنَب بن أم صاحب الفزارى[1]) ، وهو الذى يقول :

لو كنت أعجب من شىء لأعجبنى سَعْىُ الفتى وهو مخبوء له القدرُ

وهو الذى هجا الوليد بن عبد الملك فقال :

فقدت الوليـــد وأنفاً له كَثِيلِ البعير أبى أن يبولا

٣٢ — و (ابن أم حزنة[2]) وأم حزنة أمه ، وهو ثعلبة بن حزن بن زيد مناة ابن الحارث بن ثعلبة بن سُليمة[3] بن مالك بن عامر بن الحارث بن [أنمار ابن عمرو بن] وديعة بن لكيز بن أفصى . شاعر ، وهو الذى يقول :

نهيتكم أن تحملوا هجناءكم على خيلكم يوم الرهان فتُدرَكوا

٣٣ — و (بشر بن شلوة التغلبى) وشلوة أمه . وهو بشر بن سوادة[4] . وهو الذى يقول فى يوم ذى قار ، وكان مع الفرس :

---

(١) هو قعنب بن ضمرة ، أخو بنى سحيم بن عمرو بن خديج بن عوف بن ثعلبة بن بهثة ، كما فى ألقاب الشعراء ص ١٣٣ . وقيل : أحد بنى عبد الله بن غطفان ، وكان فى أيام الوليد ابن عبد الملك . انظر شرح التبريزى للحماسة (٤ : ٢٤) .

(٢) هذا تكرار لما سبق فى رقم ٢٢ .

(٣) كذا ضبطت فى الأصل بالضم . وفى الاشتقاق ٢٩٢ بفتح السين .

(٤) انظر المؤتلف ٦٠ . وضبطت « شلوة » فى الأصل هنا بالفتح . وقال ابن حبيب فى ألقاب الشعراء ١٣٦ : « أخو بنى مالك بن بكر بن حبيب » .

لما سمعت نداء مُرَّة قد علا وابنَىْ ربيعة فى الغبار الأقتم

٣٤ — و (ابن الواقفية[1] السدوسى) ينسب إلى أُمٍّ من أُمهاته ، وهو عبد الله بن عبد العزى كليب[2] بن الحارث بن سدوس ، شاعر . قال :

أتانى عن أبى بكر ألوكٌ يخب بها المبيِّن والنذيرُ

وقال :

ألمَّ خيالُ العامرية موهناً خيال بأعلى حضرموت غريبُ

أرى المرء أمسى للحوادث غاية نوائبه تغتاله فتصوبُ

وقال يهجو ابن عَنَمة الضبى[3] :

إن الشاعر الضبىَّ عبد كزائدة النعامة مستعارُ

وقال يمدح الحوفزان[4] :

لمن الديار بجانب الغمر آياتهنَّ كواضح السطرِ

يا حارِ أعطاك الإله كما أثنى عليك أخو بنى جسرِ

فلأنت أكسبهم إذا افتقروا ولأنت أجودهم إذا تُثرِى

٣٥ — و (ابن دغماء العجلى) أمه دغماء بنت مرة ، أخت جَعْونة بن مرة ، وهو الذى يقول لسويد بن حطان ، وكان سويد الضبعى نزل فى بنى عجل

---

(١) فى الأصل : « الرافقية » تحريف ، وهى بالواو نسبة إلى بنى واقف ، وهم بطن من الأنصار ، وواقف لقب مالك بن امرئ القيس . انظر القاموس (وقف) والاشتقاق ٢٦٦ . وانظر ابن قتيبة فى المعارف ص ٥٠ .

(٢) كذا فى الأصل . ولعله : « من بنى كليب بن الحارث بن سدوس » .

(٣) هو عبد الله بن عنمة بن حرثان بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد ابن ضبة . « وعنمة » بفتح العين المهملة والنون والميم . وفى ا : « غنمة » محرف . قال البغدادى : « الظاهر أنه من المخضرمين » . الخزانة (٣ : ٥٨) .

(٤) الحوفزان لقب له ، واسمه الحارث بن شريك بن مطر ، قالوا : « وإنما سمى الحوفزان لأن قيس بن عاصم اقتلعه عن سرجه بالرمح . وكل ما قلعته من موضعته فقد حفزته » . الاشتقاق ٢١٥ .

فانتسب إلى مرة أبي جعونة[1] فقال : أنا سويد بن حِطّان بن مرة ، فقال ابن دغماء :

لعمرك ما أدري وإني لسائل سويد بن حطان يمتّ وما أدري
سوى أنكم دُرِّبتم فجريتم على دُرْبة والضب يُختَل بالتمرِ[2]
فما أنتم منا ولا نحن منكم دعاوة كذب أنتمُ آخرَ الدهر

فغضب جعونة خال ابن دغماء ، فقال :

إن ابن دغماء الذي حُدِّثته بيض الدجاج لا يحسُّ له أب
إلاّ الرماد فإنها اعتركت به بين الرماد وبين أمك تنسب[3]

٣٦ — و (عبد المسيح بن عَسَلة الشيباني) ، أمه عسلة بنت عامر بن شراكة من غسان ، إليها ينسبون[4] وهو شاعر ، قال :

يا كعب إنك لو قصرت على حسن النِّدام وقلة الجرمِ
لصحوت والنمري يحسبها عم السماك وخالة النجمِ[5]

٣٧ — وأخوه (حرملة بن عسلة) ، قال له المنذر بن ماء السماء : اهج الحارث بن أبي شمر . فقال :

ألم تر أني بلغت المشيـ ـب في دار قومي عفًّا كسوبا[6]

(١) في الأصل : « مرة بن أبي جعونة » وكلمة « بن » مقحمة .

(٢) رواه الجاحظ في الحيوان (٦ : ٦٢) : « يحيل بالتمر » وقال : « فجعل صيده بالتمر كصيده بالحبالة » . والضب والعقرب يعجبان بالتمر عجباً شديداً .

(٣) مما يزعم العرب أن بيض الطير يتولد حيناً من التراب ومن الريح . قال الجاحظ في الحيوان (٣ : ١٧١) . « والبيض الذي يتولد من الريح والتراب أصغر وألطف ، وهو في الطيب دون الآخر . ويكون بيض الريح من الدجاج والقبج والحمام والنطاوس والإوز » .

(٤) أما أبوه فهو حكيم بن عفير بن طارق بن قيس بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . انظر المؤتلف ١٥٧ وشرح الأنباري للمفضليات ٥٥٦ وما ورد من التحقيق في المفضليات (٢ : ٧٨ طبع المعارف) .

(٥) انظر لفهم هذا البيت ما ورد في جو المفضليات . وفي الأصل : « والنمري يحسبه * عم السماك وخاله النجم » ، وهو تحريف .

(٦) رواية الخزانة (٤ : ٢٣) : « بلغت المشيبا * وفي دار قومي » .

وأنّ الإله تنصّفته بألاّ أعقّ وألاّ أحوبا
وألاّ أكافر ذا نعمةٍ وألاّ أخيبه مستثيبا
وغسّان حيّ همُ والدى فهل ينسينّهم أن أغيبا
فآثرْ بها بعض من يعتريك فإنّ لها من معدٍّ كليبا

فانبرى عمارة بن العيّف العبدىّ[1] من سُليمة بن عبد القيس ، وهم حلفاء فى بنى شيبان فى بنى سعد ، فقال :

لاهُمّ إنّ الحارث بن جبله عقّ أباه ظالما وقتله
وأىّ فعل سيىء لا فعله[2]

٣٨ — و (عِتبان بن وَصيلة) وهى أمه[3] . وهو عتبان بن شراحيل بن شريك بن عبد الله بن الحصين بن أبى عمرو بن عوف بن مرة بن ذُهل ابن شيبان .

٣٩ — و (عمرو بن الإطنابة) وهى أمه[4] ، وهو الذى يقول :

---

(١) ينسب الرجز أيضاً إلى « شهاب بن العيف » . وفى نسخة البغدادى من كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء : « عامر بن العيف » . (انظر الخزانة ٤ : ٢٣١) .

(٢) انظر رواية الرجز وتمامه فى الخزانة .

(٣) عتبان ، بكسر العين ، ووصيلة بفتح الواو . انظر الاشتقاق ٢١٦ . وفى معجم المرزبانى ٢٦٦ : « عتبان بن أصيلة ، ويقال وصيلة ، الشيبانى . وأصيلة أمه ، وهى من بنى محلم » . وأورد من شعره قوله لعبد الملك بن مروان :

فبلغ أمير المؤمنين رسالة وذو النصح لو يرعى إليه قريب
بأنك إلا ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصيب
فإن يك منكم كان مروان وابنه وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنا سويد والبطين وقعنب ومنا أمير المؤمنين شبيب

وللبيت الأخير قصة يتداولها الرواة .

(٤) عمرو بن الإطنابة شاعر جاهلى . وأمه الإطنابة بنت شهاب بن زبان ، من بنى القين ابن جسر ، وأبوه عامر بن زيد مناة بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج . انظر المرزبانى ٢٠٣ والكنى والألقاب لابن حبيب ١٣٩ . وأصل الإطنابة سير يشد فى وتر القوس العربية لتحزق به . الاشتقاق ٢٦٨ .

قرت أحسابُنا كرمًا فأبدت لنا الضراء عن أُدُمٍ صحاحِ
ولم يُظهر لنا عُقراتِ سَوءٍ جمودُ القطر أو بكءُ اللقاحِ

فى ختام نسخة (ا) نجز الكتاب والحمد لله رب العالمين . نقلت جميعه من نسخة نقلت جميعها من خط أبى الفتح عثمان بن جنى ، وصححها رضى الدين الشاطبى رحمهما الله .

وفى نسخة (ب) : « قال فى أصل هذا : نجز الكتاب ... الخ » ، وزاد : ونجزت هذه النسخة فى يوم الاثنين المبارك ١٤ صفر الخير سنة ١٣٠٠ بالمدينة المنوّرة . رحم الله كاتبها ومستنسخها والمسلمين أجمعين .

تحفة الأبيـــه فيمن نسب إلى غير أبيه

لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزاباذى

٧٢٩ — ٨١٧

مقدمة

هذا الكتاب يشبه فى موضوعه الكتاب السابق لهذا ، و يمتاز بأنه لم يختص بذكر الشعراء فحسب ، بل هو عام فى ذلك . ومؤلفه فى غنًى عن التعريف ، فهو صاحب أكثر المعجمات العربية تداولا ، وهو القاموس المحيط ، وهو أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزاباذى ، نسبة إلى فيروزاباذ ، قرية بفارس[1] ، منها والده وجده . وأما هو فقد ولد بكارزين من بلاد فارس سنة ٧٢٩ ، ثم أخذ عن مشايخ العلم بالعراق ومصر والشام والروم والهند ، ثم دخل زبيد سنة ٧٩٦ فتلقاه سلطان اليمن الأشرف إسماعيل ، وولاه قضاء اليمن كله ، واستمر بزبيد عشرين سنة ، وتوفى بها سنة ٨١٧ . وانظر ترجمته فى (الشقائق النعمانية ١ : ٩٢ و بغية الوعاة ١١٧ وروضات الجنات ٤ : ٢٠٧ ومفتاح السعادة ١ : ١٠٣) .

وأصل هذه النسخة التى ننشرها نسخة الشنقيطى التى كتبها بقلمه سنة ١٣٠٤ محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٣٨ أدب ش) . ومن الكتاب نسخة أخرى بمكتبة الجزائر برقم ٤٦ .

ويقارب هذا الكتاب فى تسميته وموضوعه كتاب آخر محفوظ بالخزانة التيمورية برقم ١٤٠٧ تاريخ تيمور ، وهو (تذكرة الطالب النبيه بمن نسب إلى أمه دون أبيه) لأحمد بن خليل اللبودى ، وهو تهذيب كتاب آخر ، لجلال الدين ابن خطيب داريا . وتقع هذه التذكرة فى ٨٩ صفحة ، وقد وجدت معظم ما به من الأسماء قد تكفل به ابن حبيب ومجد الدين الفيروزاباذى .

---

(١) هى بكسر الفاء وآخرها ذال معجمة ، كما فى معجم البلدان ، قال البشارى : « ومعنى فيروزاباذ أتم دو » .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عددَ خلقِه وزنةَ عرشِه ورضى نفسِه ومداد كلماته ، والصلاة والسلام على أشرف مخلوقاته ، ملءَ أرضه وملءَ سماواته ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأزواجه وذُرّياته .

و بعدُ يقول محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزاباذى نعَشَه الله من عَثَراته ، وحجز بحفظِه وكِلاءته بينه و بين زَلّاته : هذا كتابٌ وضعتُه فى ذكر من نُسِب إلى اثنين من آبائه وأمّهاته ، أو إلى غير أبيه ثم إلى جدّاته ، [أو] أجنبىّ ممن رباه أو تبنّاه أو غير ذلك من حالاته ، وذلك لمّا رأيت قراء الحديث تَزِلُّ مفاصلهم[1] فيلحنون فى ذلك وأخواتِه ، فأفردته فى جزء راجياً أن يكون لوجه الله تعالى بَحْتًا لرَوْمِ مَرْضاتِه[2] ، وأسميته « تحفة الأَبِيه[3] فيمن نُسِب إلى غير أبيه » ، ورتّبته على الهجاء المشرقىّ لصَفاءِ أضَاتِه[4] ، وقدّمتُ ذكرَ سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم محمدٍ عليه أفضلُ صلواتِ الله وأشرفُ تسليماته ، تشريفاً للتأليف ، ولئلاّ يندرجَ اسمُه الشريفُ بين الكتاب حيث يقتضيه ترتيبُ كلماتِه :

سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم ، خاتم النبيّين وأشرف المخلوقين ، ورسولُ ربّ العالمين ، صلى الله تعالى عليه وسلم أبد الآبدين . قيل نَزَع فى الشَّبَه إلى أبى كبشة أحد أجداده ، فقالوا له ابن أبى كبشة . فى صحيح البخارى ، فى حديث هرقل : « فقال أبو سفيانَ بنُ حرب لمّا قرأ هِرَقْلُ كتابَ النبى صلى

---

(١) المفاصل : جمع مفصل ، كمنبر ، وهو اللسان .

(٢) البحت : الخالص . والروم : الطلب .

(٣) الأبيه : وصف ، من أبه للشىء وبالشىء من باب منع وفرح ، أى فطن له . ولم يذكر المصنف فى قاموسه ولا صاحب اللسان أيضاً هذا الوصف .

(٤) الأضاة : المستنقع من سيل أو غيره .

الله تعالى عليه وسلم : لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبى كَبْشة[1] ، إنّه يخافه مَلِكُ بنى الأصفر » . واختلف العلماء فى ذلك فقيل أبو كبشة كُنْيَةُ زوجِ حليمةَ السعدية التى أرضعت النبىَّ صلى الله تعالى عليه وسلم ، فهو أبوه من الرّضاعة ، واسمه الحارث بن رِفاعة السعدىّ ، قاله أبو الحسن علىّ بن خلَف بن بَطّال . وقيل هو كنية وهب بن عبد مناف جدِّ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قِبَل أمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف جدّ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، لأنه كان نَزَع إليه فى الشبه . وقال ابن الكلبىّ فى جمهرة النسب : أمُّ وهبٍ جدِّ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قَيلة بنت أبى قَيلة ، وهو وَجْز بن غالب بن الحارث بن عمرو بن حُوَىّ ابن مِلْكان بن أفْصَى بن حارثةَ بن خُزاعة . تقول خُزاعة : أبو كبشة هو أبو قَيلة . وقيل أبو كبشة : رجلٌ من خُزاعة خالفَ قريشاً فى عبادة الأوثان وعَبَدَ الشِّعْرَى العَبُور ، فشبَّهوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به ، ومعناه أنه خالفهم كما خالفهم أبو كبشة . وقيل : كان أبو كبشة عَمَّ ولدِ حليمةَ السعديّة . قال الزُّبير بن بَكّار : ليس مرادُهم عَيْبَ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وإنما مرادُهم مجرَّد التشبيه . وقال غيره : هذا منهم إيذاءٌ للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأقبح ما كانوا يدْعونه به من الكُنَى والأسماء .

ونسبَ بعضُ المُحْدَثين المولَّدين النبىَّ صلى الله تعالى عليه وسلم إلى أمّه آمنة ، فقال :

صلَّى الإله على ابن آمنةَ التى جاءت به سَبْطَ البَنَان كريما
قُل للذين رجَوْا شفاعةَ أحمدٍ صلُّوا عليه وسلِّموا تسليما

حرف الألف

١ — إبراهيم بن عُلَيَّة ، سيأتى ذكره عند ذكر أبيه إسماعيل بن علية .

---

(١) أمر ، كفرح : كثر ، وقوى .

٢ — إبراهيم بن هَرَاسة ، بفتح الهاء والراء المخففة والسين المفتوحة ، وهى أمُّه . والهَرَاسة فى الأصل : واحدة الهَرَاس كسحاب ، وهو شجر ذو شوك . وقال أبو عمرو : يقال له ثمر مثل ثمر النَّبق ، وفيه شوك . قال النابغة الجعدىّ رضى الله عنه :

وخيـــلٍ يطابقْنَ بالدارعِينَ طِبَاقَ الكلاب يَطَأْن الهَرَاسا

الواحدة هَرَاسة . وبه سمِّيت المرأة هَرَاسة . وهو أبو إسحاق إبراهيم بن سَلَمة الـكوفىّ ، متروك الحديث تكلَّم فيه أبو عُبيدٍ وغيره . فإذا كتبتَ إبراهيم بن سلمة ، ابن هَرَاسة أعربتَ الابن الثانى إعرابَ إبراهيم وكتبته بالألف ، وكذا فى جميع ما أتلوه عليك من هذا النحو .

٣ — أحمد بن تَيْمِيّة ، هى أمّ أحدِ أجداده الأبعـدين ، وهو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبى القاسم بن محمد بن تيميّة الحرانىّ ، الحافظ المشهور ، الذى لم يلحق شأوَه فى الحفظ أحدٌ من المتأخِّرين .

٤ — أحمد بن الخاضِبَة[1] .

٥ — إسحاق بن راهَوَيْه بفتح الهاء والواو ثم ياء مثناة تحتية ، ويقال بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء ، وهـذه قليلة ، وهما لغتان فى كل اسم خُتم بوَيْه كسيبوَيْه وعَمْرويْه وبَحرويْه وغيرهما ، ويجوز فيه البناء والإعراب : هذا راهَوَيْهِ ورأيت راهويهِ ومررت براهويْهِ . وهذا راهويْهْ ورأيت راهويْهًا ومررت براهوَيْهِ . ولك أن تعربه غير منصرف فتقول : هذا راهويْهُ ورأيت راهويْهَ ومررت براهوَيْهَ . وهـذا عن الجَرْمى ، ونقله ابن مالكٍ عن المتأخِّرين . ولم يذكر سيبويه إلا البناء . وعلى قول من يعربه تجوز تثنيتُه وجمعه ، فتقول هٰذان راهويهان وهؤلاء راهويهون . وعلى قول الجمهور تقول : هـذان ذوَا راهويهِ وهؤلاء ذَوُو راهويه . وراهويه لقب أبيه إبراهيم لأنه وُجد فى الطريق . وأصله

(١) فى الأصل : « الحاصة » ، صوابه من تذكرة الطالب ، مخطوط التيمورية . وهو والد أبى بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقى بن منصور الدقاق ، الحافظ البغدادى . انظر تذكرة الحفاظ ٤ : ٢٢

راهَوِىّ أى طريقىّ . وراهُ بالعَجَمىّ : الطريق . وهو أبو يعقوب إسحاق بن مخلد ابن مسكين بن إبراهيم بن مطَر الحنظلىّ المروَزىّ النيسابورىّ ، أحد الأئمّة الحفاظ . قال أبو داود : تغيّر قبل أن يموت بخمسة أشهر ، وتوفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وهو ابن سبع وسبعين سنة .

٦ — إسماعيل بن عُلَيّة بضم العين المهملة وفتح اللام والياء المثناة التحتية المشددة . وهى أمه وقيل جدته أمّ أمّه . وهو أبو بِشْر إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسم — كمنبر — الأسدىّ ، أسدِ خُزَيمة ، مولاهم البصرىّ . وأصله من الكوفة ، وهو أحد أئمة الحديث والفقه ومن كبار الصالحين[1] . وأما ابن عُلَيّة الذى يعزو إليه كثيرٌ من الفقهاء فهو ابن ابنه .

٧ — أيوب بن القِرِّيَّة ، بكسر القاف والراء المشددة والمثناة التحتية آخره هاء ، وهو لقب أمّه واسمها جُمَّاعة مثل رُمَّانة ، بنت جُشَم بن ربيعة بن زيد مَنَاةَ ، وهو أيوب بن يزيد بن قيس بن زُرارة بن سَلَمة بن جُشَم بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناةَ ، بن القِرِّيَّة . وهو أحد الفصحاء المشهورين بالحفظ ، صحب بنى مروان والحجاجَ بن يوسف . والقِرِّيَّة : حوصلة الطائر . ونقل أيوبُ الكتبَ القديمةَ إلى العربية ، وقتلَهُ الحجّاج .

حرف الباء

٨ — بُدَيْل بن أمّ أصْرَم ، بضم الباء على زنة زُبَير ، واسم أبيه سلَمة . وبُديل بن سلمة ابن أم أصرم صحابىٌّ كان بمصر ، روى عنه علىّ بن رياح . وقيل : هو بديل بن ميسرة ، بدل سلمة .

٩ — بشير بن الخَصاصِيَة ، بفتح الخاء وتخفيف الياء المثناة من تحت ، على زنة كَراهِيَة وطَواعية . وبعض المحدّثين شدّدها ، وهو لحن لأنه ليس فى كلام العرب فعاليّة بالتشديد ، وإنما هى بالتخفيف قاطبة ، كـكراهِيَة وطَواعية وعَلانية ورفاهيَة

(١) ترجم له بإسهاب فى تهذيب التهذيب .

وأخواتها . والخصَاصيةُ هى أمّ بشير ، واسم أبيه معبد . وكان اسم بشير رحم بن مَعبَد بن شراحيل السَّدوسىّ ، فغيّره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسمّاه بشيراً . وأمّه الخصاصيةُ من الأزد . وكان بشير يعرف بها ، وروى بشيرٌ أحاديث .

١٠ — بشير بن عقْربةَ . عقربةُ أمّه . والعقربة فى كلام العرب : المرأة العاقلة الخدوم . و بشير صحابىّ ، ولم أقف على اسم أبيه . وكنيتُه أبو اليمان ، نزل الشامَ ، روى حديثاً واحدا ، وهو « من قامَ بخطبة لا يلتمس بها إلا رياء وسُمعة وقَفَه الله عزّ وجلّ يومَ القيامة موقفَ رياء وسُمعة» . روى عنه عبدُ الملك بن مروان وعبد الله بن عوفٍ الكنانى .

١١ — بِلال بن حمامة ، مؤذّن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وحمامة بالفتح والتخفيف : اسم أمّه . واسمُ أبيه رَباح ، بفتح الراء والباء الموحّدة وبحاء مهملة . ويكنى أبا عبد الله ، وقيل أبا عمر ، وقيل أبا عبد الرحمن . مولى أبى بكرٍ الصدّيق رضى الله تعالى عنه ، ومن مولّدى السراة[1] ، وشهد بدراً . وكان تِرْب أبى بكر رضى الله تعالى عنه . مات بدمشق ودفن بالباب الصغير . قال ابن زبر : مات بدارَيّا[2] وحُمِل على الرِّقاب ، فدفن بمقبرة باب كيسان . وقيل مات بحلَب ودُفِن بباب الأربعين .

حرف الجيم

١٢ — جُبَيْر بن بُحينة ، صحابى . وبُحَينة بضم الباء وفتح الحاء المهملة ثم مثناة تحتية ساكنة ونون مفتوحة وهاء ، وهى لقبُها ، واسمها عبدة . وكذلك أخواه عبد الله ومالك . وأبوهُم مالك بن القِشْب بكسر القاف . وسيعاد كلُّ واحدٍ فى بابه إنْ شاء الله تعالى .

١٣ — جعفر بن عُقاب . شاعر ، وعُقابُ أمّه . وهو جعفر بن عبد الله ابن قَبيصة .

---

(١) السراة ، بالفتح : جبال وأرض حاجزة بين تهامة واليمن .

(٢) داريا : قرية من قرى دمشق ، ينسب إليها الدارانى .

١٤ — الحارث بن مالك بن البَرْصاء ، صحابى . والبَرْصاء اسم أمِّ أبيه ، وهى لقبها ، واسمها عَبَدة ، واسم أبيه مالك بن قيس اللَّيثىّ . روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يومَ فتح مكة : « لا تُغزَى مكةُ سوى اليوم[1] » . وفى رواية « بعد اليوم » . والحديث الآخر « إنه ليس أحدٌ يلقى اللهَ وقد اقتطع مالَ امرئٍ مسلم بيمينه إلا ... » ، قال إسحاق بن إبراهيم أحدُ رواة هذا الحديث : إنّ سفيان كَنَى عنه[2] ، إنّما هو النار .

حرف الخاء

١٥ — خُفَاف ، بضم الخاء وفتح الفاء على زنة غُراب ، بن نَدْبة بفتح النون وسكون الدال المهملة وفتح الباء الموحدة ، وهى أمُّه ، واسم أبيه عُمَير بن الحارث ابن الشَّريد . وكنيةُ خُفافٍ أبو خُراشة بضم الخاء ، صحابىّ .

حرف الذال

١٦ — ذُو الخِرَق بن شُعَاث الشاعر ، بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء بعدها قاف . وشُعاث بالشين المعجمة المضمومة وعين مهملة بعدها ألف وثاء مثلثة ، واسم أبيه نُبَاتة .

حرف الراء

١٧ — رافع بن عُنجُدة ، بضم العين المعجمة والجيم بينهما نون ، وقيل عَنْجَرة بالعين المهملة المفتوحة والجيم والراء ، وقيل عنترة ، والأول أصح . وعُنْجُدة أمُّه أو جدّتُه واسم أبيه عبد الحارث .

١٨ — الرمّاح بن ميّادة بفتح الميم والمثناة التحتية المشدّدة ، وهى اسم أمِّه ، وكانت أمةً سوداء راعية . وهو الرمّاح بن أَبْرَد بن زَبّان بن سُراقة بن حَرْملة

(١) فى الإصابة ١٤٧٠٤ : « لا تغزى مكة بعد اليوم إلى يوم القيامة » .
(٢) أى عن ما بعد « إلا » .

ابن سَلْمَى بن ظالم بن جَذِيمة بن يربوع بن غَيْظ بن مُرّة بن عوف بن سعد ابن ذبْيان ، وكنيته أبو شرحبيل ، وهو شاعر مشهور .

حرف الزاى

١٩ — زياد بن هِنْدايةَ ، بكسر الهاء وسكون النون بعدها ألف و ياء مثناة تحتية مفتوحة ، وهى أمُّه ، وكانت سوداء . واسمه زيادُ بن حارثة بن عوف بن قَتِيرة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أُسامة بن سَعد بن شَبيب ابن السَّكون . وكان فارساً مشهوراً . قال ابنُ الأعرابىّ : وقال ابن الكلبىّ هو زياد بن عوف بن حارثة ، وهو الذى أَسَرَ الحُصَينَ ذا الغُصَّة . وكان يقول : « لو أرسلتُ فَرَسِى أزاهيقَ عُرْياً لأَسَرَ ذا الغُصّة » . وأزاهيق : اسمُ فرسِه .

حرف السين

٢٠ — سعد بن حَبْتَةَ ، بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح المثناة الفوقية ، وهى أمُّه . وهى حَبْتَةُ بنت مالك رضى الله تعالى عنها . وهو سعد بن بَحِير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة . هذا هو الصَّحيح المشهور ، وقيل فيه بُجَيْر بالجيم مصغرا . وهو صَحابىٌّ . وأبو يوسفَ بن إبراهيم القاضى من ذُرِّيّة سعد بن عوف[1] بن بُجَير بالجيم ، والأول أصح .

٢١ — سَعْد بن الحنظلية وهى أمُّ جَدّه ، وهو سعد بن عُقَيْب بالقاف مثل زُبَيْر ، وقيل عُميت بالميم والمثناة آخره مثال حُميد ، وقيل سعد بن الرَّبيع بن عمرو بن عدىّ . ويكنى أبا الحارث الحارثىّ الصحابىّ .

٢٢ — سعد بن خَوْلةَ . خَوْلة أمُّه ، وهو سعد بن خَوْلىّ . و بعضهم يجعل ابن خَوْلة غير ابن خَوْلىّ . ولم يعرف اسم أبيه ، وهذا هو الأصح .

٢٣ — سُلَيْك بن سِنان بن سُلَكة ، كهُمَزة . وسُلَكة أمّه ، وهو من

(١) كذا وردت فى الأصل ، وإنما هو سعد بن بجير . الإصابة ٣١٣٤ وتاريخ بغداد ٧٥٥٨ .

الشعراء والعدّائين ، ومن اللصوص الفتاك ، وكان يُعرَف بسُلَيْك المَقانب .

٢٤ — سُوَيْد بن كُرَاعَ . وكُرَاعُ أمّه ، وهى غير مصروفة . وهو سويد ابن عمرو ابن كُرَاع ، وهو شاعرٌ معروف .

٢٥ — سَهْلُ بن الحنظلية الحارثىّ . والحنظلية هى أمُّ أبيه ، وهو سَهْل بن عمرو بن عدىّ بن زيد بن جُشَم بن حارثة ، صحابى .

٢٦ — سَهْل بن البيضاء . البيضاء لقبُ أمّه ، واسمها دَعْدُ بنت جَحْدم ، بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة وفتح الدال اليابسة . وهو سهل بن وهب بن ربيعة ، صحابى .

٢٧ — سُهَيْل بن البيضاء ، أخو سَهْل .

حرف الشين

٢٨ — شُرَحْبيل بن حَسَنَة . وهو شُرَحبيل بن عبد الله بن المُطَاع أخو عبدالله وعبد الرحمن . وحَسَنَةُ أمّه ، وهى عَدَوْلية : نسبةٌ إلى عَدَوْلَى قرية بالبحرين . وهى مولاةُ مَعْمَر بن حبيب . وشُرحبيل من الصَّحابة .

٢٩ — شَرِيك بن السَّحْمَاء ، بفتح الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة : وهو شَريك بن عَبَدَة بالتحريك ، ابن مغيث ، أخو البَرَاء بن مالك لأمّه . وهو أوّلُ مَن لاعَنَ فى الإسلام . وبعضهم يجعل شَرِيكَ بن السَّحماء غيرَ شريك بن عَبَدة ، والأوّلُ أصحّ .

حرف الصاد

٣٠ — صَفْوان بن البيضاء ، والبيضاء لقبُ أمّه ، واسمها دَعْد . وهو أخو سَهل وسُهَيل . وهو صفوان بن وهب ، وقد تقدّم .

حرف العين

٣١ — عاصم بن بَهْدَلة ، أبو بكر الأسدىّ ، من القرّاء ، و بَهْدلة أمّه . وهو عاصم بن أبى النَّجُود . والبَهدَلة : الإسراع والخِفة فى المشى . والبَهدل : جِرو الضَّبع[1] .

(١) فى الأصل : « خرو الضبع » ، تحريف .

٣٢ — عبد الله بن أُبَيّ بن سَلول المُنافق . سَلول أمُّه .

٣٣ — عبد الرحمن بن حَسَنَة ، أخو عبد الله وشُرَحبيل ، وهو عبد الرحمن ابن عبد الله بن المُطَاع . وحَسَنَةُ مولاةُ مَعْمَر بن حبيب ، عَدَوْلية .

٣٤ — عبدُ الله بن أمِّ حرام . وهو عبدالله بن عَمرو بن قيس . وفيه اختلاف .

٣٥ — عبد الله بن بُحَينة ، وهو عبدُ الله بن مالك الأزديّ . وقد تقدَّم ذكر بُحَينة عند ذكر أخيه جُبَير . واسمها عَبَدة بنت الحارث بن عبد المطلب ، وهى أمُّ أبيه

٣٦ — عبد الله بن حَسَنة ، أخو عبد الرحمن وشُرَحبيل ، وهو عبد الله بن المُطَاع .

٣٧ — عُمَر بن اللُّتْبِيَّة . وقيل ابن الأُتْبِيَّة(٢) . قيل الأوّل الصحيح والأوّلُ قول ابن دريد ، والثانى قولُ ابن الكلبيّ والمعوّل على قوله أكثر .

٣٨ — عمرو بن الفَغْواء أخو علقمة ، صحابيان .

٣٩ — علقمة بن الفَغْواء ، صحابيّ ، وقيل ابن أبى الفغواء ، وهو عَلْقمةُ بن عُبيدٍ الخُزاعىّ . والفغواء ، بالفاء والغين المعجمة : لقب أمّه . والفغا : مَيَل فى الفم .

٤٠ — عمرو بن شَعْواء اليافعىّ صحابى . شعواء أمُّه ، ولم أقفْ على اسم أبيه . والشَّعواء بالشين المعجمة والعين المهملة : المنتشرة الشعر ، ومنه شجرةٌ شَعْوَاء : منتشرةُ الأغصان . وغارةٌ شَعْواء : متفرِّقة .

٤١ — عوف بن عَفراء ، وهو عوف بن الحارث بن رِفاعة النَّجَّارى . وهى

---

(١) فى الأصل : « ابن اللبنية وقيل ابن الأبية » . صوابه من تذكرة الطالب ، قال : « عده الصغانى فى نقعة الصديان فى الصحابة الذين نسبوا إلى أمهاتهم » . وذكره فى الإصابة ١٩٣١ باسم « عبد الله » . وفى القاموس (لتب) : « وبنو لتب ، بالضم : حى ، منهم عبد الله بن اللتبية » .

عفراء بنت عُبيد بن ثَعلبة . وقيل فيه عَوْذٌ ، وعَوْفٌ أكثر .

حرف اللام

٤٢ — لوط بن هاران بن تَارَح ، ابنُ أخى إبراهيم[١] . هاران هو أخو إبراهيم .

حرف الميم

٤٣ — مالك بن بُحَيْنة ، و بُحينة لقبُها واسمها عَبَدة . وهو مالك بن القِشْب ، بكسر القاف .

٤٤ — مالك بن نُمَيلة ، نُمَيلة أمُّه . وهو مالك بن ثابتٍ المُزَنىّ الصحابى .

٤٥ — محمد بن الحنفيَّة ، هو محمد بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما . والحنفيّة أمُّه[٢] .

٤٦ — محمد بن حَبيب الأديب . حبيبُ اسم أمِّه ، ولم أقف على اسم أبيه .

٤٧ — محمد بن عائشة ، وهو محمّد بن حَفْص .

٤٨ — محمد بن عثمان ، وهو محمد بن خالد .

٤٩ — محمد بن شَرَفَ القَيْرَوانىّ . شرفُ اسم أمِّه ، ولم أقف على اسم أبيه .

٥٠ — محمد بن القُوطِيّـة ، بضم القاف وكسر الطاء وفتح المثناة التحتية المشددة ، وهى أمُّه ، نُسِبت إلى قُوط بن حام بن نوح . وهو أبو السُّودانِ والهند والسِّند . وهو محمد بن عُمَر بن عبـد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مُزاحمٍ الأندلسىّ الإشبيلى الأصل ، القُرطُبى المولد . كان من أعلم أهل زمانه ، ماهراً باللغة

---

(١) لعله يريد أنه يقال لوط ابن أخى إبراهيم ، فينسب إلى غير أبيه .

(٢) هى خولة بنت قيس بن مسلمة بن عبد الله بن ثعلبة ، أو بنت قيس بن جعفر بن قيس ، أو خولة بنت إياس بن جعفر ، ونسبتها إلى بنى حنيفة باليمامة ، وقيل كانت أمة لبنى حنيفة سندية سوداء . انظر اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء ، بتحقيق الدكتور الشيال ، والإصابة ٣٥٥ من قسم النساء والمعارف ٩١ .

والعربية ، حافظاً للحديث والفقه والشِّعر ، لا يُلْحَق شأْوُه . وكان متنسِّكا متعبِّداً .

حكى أبو بكر يحيى بن هُذيلٍ التميمىّ ، أنه توجَّهَ يومًا إلى ضيعة له بسفح جبلِ قُرطبة ، وهو من بِقاع الأرض الطيِّبة المونِقة ، وصادفَ ابنَ القوطيّةِ صادراً عنها . قال : فلما رآنى عرَّج علىَّ واستبشَّ بلقائى ، فقلت له على البديهة مداعباً :

من أين أقبلت يا مَن لا شبيهَ له ومَن هو الشمسُ والدُّنيا له فَلَكُ

فتبسَّم وأجاب بسرعة :

مِن مَنزلٍ يُعجبُ النُّسَّاكَ خَلْوَتُه وفيه سِتْرٌ عن الفُتَّاك إن فَتَكوا

قال : فما تمالكت أن قبّلت يدَه . مات فى سنة سبع وستين وثلاثمائة .

٥١ — محمد بن ماجهْ[1] ، ماجه اسم أمه وهو محمد بن يزيد ابن ماجه ، وترجمته مشهورة . الإمام أبو عبد الله الحافظ القزوينىّ أحد أصحاب الكتب الستَّة ودواوينِ الإسلام .

٥٢ — مسعود بن العجماء ، العجماء اسم أمِّه . وهو مسعود بن الأسود ابن حارثة صحابىّ .

٥٣ — مُعَاذ بن عَفراء ، عفراء أمُّه ، وهو مُعاذ بن الحارث بن رفاعة النّجّارى صحابىّ .

٥٤ — معوِّذ بن عَفْراء ، أخو معاذ . وعفراء هى بنت عُبيد بن ثَعلبة صحابىّ .

٥٥ — مَعقِل بن أم مَعقِل ، وهو معقل بن أبى الهَيثم ، ويقال له مَعْقِل بن أبى مَعْقِل الأسدىّ .

٥٦ — المِقْداد بن الأسود ، هو الأسود بن عَبد يغوث ، وهو رجل زُهرىٌّ

(١) جرى القدماء على نطق أمثال هذه الأسماء بالهاء الساكنة ، ونحوها « سيده » و « منده » ، ولست أرى مبرراً لهذا الالتزام ما دامت تدخل فى نطاق التعريب .

ربّى المقدادَ وتبنّاه فنَسِب إليه . وهو المقـداد بن عَمْرو بن ثعلبة بن مالك الـكنديّ .

حرف الواو

٥٧ — ورقة بن نوفل بن عبـد العُزّى ، ابنُ عمٍّ خديجة رضى الله تعالى عنها . نَوْفَلٌ هو عمُّ خديجة رضى الله تعالى عنها .

حرف الياء

٥٨ — يحيى بن الحنظليّة . الحنظليّة أمُّه ، ولم أقف على اسم أبيـه ، وهو ممَّن بايع تحت الشجرة .

٥٩ — يَعْلَى بن سَيَابة ، وهى اسم أمّه ، وهو يعلى بن مُرّة الثَّقَفى (١) .

٦٠ — يعلَى بن مُنْيَة (٢) وهى أمُّه ، وقيل جدّته أمُّ أبيه ، وهو يعلى بن أُمَيّة بن عبدة (٣) التميمىّ المـكى حليف قريش ، ومن مُسْلِمةِ الفتح ، وقُتل فى صفّين ، رضى الله تعالى عنه .

٦١ — يُونس بن حبيبَ الأديب الشاعر ، حبيبُ أمّه ، ولم أقف على اسم أبيه ؛ وفيه ستُّ لغات مشهورات : تثليث النون مع الهمز وتركه .

والحمد لله رب العالمين ، والصـلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، محمد حبيب رب العالمين ، وعلى آله وصحابته والتابعين .
كتبه لنفسه محمد محمود ، ابن التلاميذ التركزىّ ، لطف به آمين .

---

(١) فى الإصابة ٩٣٦٢ : « قال ابن حبان : من قال فى يعلى بن مرة يعلى بن سيابة . فقد وهم . ثم قال : يعلى بن سيابة يقال إن له صحبة » .

(٢) فى الإصابة ٩٣٦٠ : « يعلى بن منية ، بضم الميم وسكون النون ، وهى أمه وقيل أم أبيه ، جزم بذلك الدارقطنى . وقال : هى منية بنت الحارث بن جابر » .

(٣) فى الإصابة : « ابن أبى عبيدة » .

فهرس المجموعة الأولى

صفحة

٣ — ٤ تقديم

٦ — ٥٦ الرسالة المصرية

٥٧ — ٨٠ المردنات من قريش

٨١ — ٩٦ كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء

٩٧ — ١١٠ تحفة الأبيه ، فيمن نسب إلى غير أبيه

تصحيحات

١٧ : ١٢	فاستضحكا	٣٣ : ٦	مرض
٢٧ : ٩	الخالية	٧٨ : ٥	إحدى المرأتين